# باب الدهشة

70 كاتبا يحتفون بلغتهم

# العربية

في يومها العالمي

Email publish@tashkeel- publishing.com
Website www.tashkee-publishing.com
Mobile 201006250473 FB/Tashkeeel

تصميم الغلاف : شيماء النجار الإخراج الداخلي : ضياء فريد

المديـــر العـام : سيد شعـــبان

جميع الحقوق محفوظة للناشر

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحـبه للمساءلة القانونية، والآراء والـمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

# عن موت اللغة

لا تموت اللغة إلا إذا فني متحدثوها وكاتبوها، وانتهت الآثار المكتوبة بها، وهو ما جرى بالفعل لعدّة لغات في العالم، أشهرها اللاتينية، التي رغم أنها اللغة الرسمية لدولة الفاتيكان، فقد ماتت بانقراض وجودها في الحياة الطبيعية.

والقول إن القرآن الكريم يحمي العربية من الزوال، مردودٌ عليه، لأن هناك أُممًا تدين بالإسلام، وتحفظ كتاب الله، لكنها لا تُجيد كلمة عربية واحدة، ما يعني أن القرآن لن يزول، لكن العربية ربَّما تموت يومًا، إذا تخاذل العربُ عن تدعيم ظهرها، ونشرها، وإنتاج المزيد من الآثار بها، وإعادة بهائها إليها.

في اليوم العالمي للغة العربية، يحتفي بها كُتَّابُها، ويستعيدون ذكرياتهم مع مُدرِّسيها، الذين كانوا إما عوامل بناء وإما هدم، خلال مسيرتهم التعليمية.

إنها فرصة مُتجدِّدة، للاستمتاع بدفق الذكريات، والعزف على قيثارة البيان، لاستخراج أنغام طال الشوقُ لسحرها، واشتدتْ الحاجةُ لوقعها، لإعادة رسم لوحة لعظمة العربية، وتفرّدها، وسبقها، ومتعتها التي لا تغيب.

حسام مصطفى إبراهيم

رئيس تحرير موقع اكتب صح

# خالي محمود

إيمان أبو أحمد – كاتبة مصرية

في يوم اللغة العربية لا بدّ أن أعترف أنني من عشاقها، وأحد من أصابهم الوله بها، فتمرست فيها قراءةً وكتابة.

ولعلي أعود للوراء وأسترجع ذكرياتي معها أنا الأخرى.

خالي محمود، ذلك الخال الأزهري غير الشقيق، معلّم اللغة العربية لأبناء الحي بجميع مراحله، مات شابًا صغيرًا، لم يتزوج فلم يترك ولدا ولا بنتا، لكنه ترك تلاميذ كُثر يذكرونه بطيب الذكر والعرفان.

مات قبل أن أولد وعشت بطيب ذكره، في نفس البيت والحي الذي كان يعيش فيه، وكلما قابلت أحدا وعرف أنني قريبته، أجد نظرة عرفان وابتسامة رضا وقبول حسن، وأسمع الجملة الأثيرة "إنتي بنت أخت الشيخ محمود، ياه الله يرحمه، ده له أفضال وجمايل علينا كتير، ده أستاذي وكان بيعلّمني عربي".

كان خالي يعلّم الأطفال والشباب، وكان نابغًا، يأتي بخالي وخالتي وهم أطفال صغار يجلسهم مع الفتيان والفتيات الكبار ويكتب آية قرآنية ويجعلها مباراة شديدة الوطيس في الإعراب، من يستطيع أن يعرب هذه الآية، أنت أم عبد الحميد وسامية الصغار، فكان الجميع يتبارى في الإعراب والقراءة والإملاء.

سـمعت حكاياتـه وقصصـه عـن اللغـة العربيـة، واسـتنتجت مـدى عشـقه وإتقانـه لهـا، ووجدتنـي مرتبطـة بـه وباللغـة مـن خلالـه، ومـن خـلال مصحفـه الخـاص الـذي كان في البيـت، وكان يكتـب عـلى هوامشـه ملاحظاتـه وإعرابـه وتفسـيره للآيـات.

تـسرّب إليّ عشـق اللغـة العربيـة فتعلمـت القـراءة والكتابـة في سـن صغـيرة، وأتقنتهـما بسرعـة، أذكـر وأنـا في الصـف الثـاني الابتـدائي وفي أول يـوم في العـام الـدراسي، وأول حصـة لغـة عربيـة، سـلمتنا معلمـة الفصـل الكتـاب وطلبـت منـا قـراءة التمهيـد الموجـود في أولـه، فقرأتـه ورفعـت يـدي سـعيدة بأننـي أول مـن قـرأه، لكنـي وجـدت منهـا نظـرة امتعـاض وتكذيـب، قبـل أن تقـول: "لحقتـي تقـري بطـلي عبـط، اقـري كويـس"!

وبـدأت أكـبر، وتظهر ملامح عشـقي للغـة العربية، خصوصـا الإعراب والنحـو وكانـت ألطـف اللحظـات حصـة تطبيـق العـربي والنحـو، كنـت أعتبرهـا فوازيـر وأحاجي ومنتهى سـعادتي في أسـئلة: اسـتخرج مـن القطعة، أعـرب مـا تحتـه خـط، ثـنِّ الجملـة واجمعهـا وغـيّر مـا يلـزم، دون أن أفهـم سر معانـاة الآخريـن وشـكواهم مـن صعوبـة اللغـة العربية، فيـما اعتبرتني زميـلاتي مجنونـة، فكيـف أحـب هـذه اللغـة، ناهيـك بفهمها!

أذكـر يومًـا كنـت في الصـف الأول الثانـوي، وتوعدتنـا مدرسـة اللغـة العربيـة وأعـدت امتحانـا في منتهـى الصعوبـة وكانـت الدرجـة مـن ٦٠، وامتحنّـا، وبالفعـل سـقط الجميع، وأحـرزت الأولى درجتين فقـط، واتهمتني المدرّسـة بالغـش لأننـي حصلـت عـلى ١٥ من ٦٠ وهـي درجة سـؤال النحو!

تطـوّر عشـقي للغـة العربيـة وامتـد إلى جميـع اللغـات، فأحببـت هـي الأخـرى، وأصبحـت القـراءة والكتابـة مـن أهـم هوايـاتي.

في كل هـذه الذكريـات وغيرهـا، كان خـالي محمـود، عـرَّابي ومثـلي الأعـلى، وكان يظهـر مـن بعيـد في نهايـة الصـورة، فأسـأل نفـسي: لـو كان موجـودًا هـل كان سيسـعد بي؟ وهـل كنـت سـأصبح تلميذتـه النجيبـة؟

خـالي محمـود أحـد حـرّاس اللغـة العربيـة وأحـد عاشـقيها المجهولـين، الـذي لم يمهلـه القـدر أن يعطـي للغـة كل مـا كان يتمنـى

رحمه الله.

# أمي في عشقها للقراءة

د.لنا عبد الرحمن – روائية لبنانية

السؤال عن اللغة العربية يستدعي لدي زمنا يرتبط بمرحلة الطفولة.

الذهاب مع أمي إلى معرض الكتاب في بيروت، شراء كمية كبيرة من القصص، ثم القراءة والقراءة.

لذا أظن أن أمي في عشقها للقراءة، الذي ورثته عنها، كانت أول من جعلني أقع في غرام اللغة العربية، ثم جاءت مرحلة أخرى خلال المدرسة، حيث كنت أجد متعة كبيرة في حفظ أبيات من الشعر القديم، ربما ما زلت أذكر بعضها حتى الآن.

هذا الهوى باللغة العربية جعلني أيضا أختار دراستها في الجامعة، واكمال مشوار الكتابة من خلالها، ولعلّ أكثر ما يثير شغفي حتى الآن، هو البحث عن معاني كلمات في اللغة العربية، أو ايجاد مرادف لها.

# لغة العالم الأولى

محمد صادق – كاتب مصري

حلمٌ غير بعيد المنال، ولم لا، وقد كانت كذلك من قبلُ؟

ولم لا، وقد اصطفاها الله سبحانه وتعالى بحكمته بيانًا وتبيانًا لكتابه الخالد؟ لكن كيف؟

إن أفضل عمل نقدمه للغتنا، أن نتكلم بها باعتزاز وفخر ومباهاة، مما يعكس الاعتزاز بالهوية، وهذا هو أكبر عمل وأقوى فعل يمكن أن نقوم به، لخدمة لغة الضاد، وما غير ذلك من جهود – مع أهميتها- إلا خدمات مكمّلة للفعل الأساسي، وهو أن نتكلم، لا سيما إذا علمنا أن هناك لغات لم يتم التنظير لها أو حتى كتابتها مثل اللغة النوبية، ومع ذلك لا تزال تحيا بيننا إلى الآن؛ نظرًا لاستخدام أهلها في أمورهم الحياتية، بالقطع لا أتخيل تفعيل هذا الأمر على الشرائح الثقافية كافة، لكن على الأقل رواد المجال والنخبة المثقفة، كي يكونوا قدوة ومرآة لباقي فئات المجتمع.

شعرت بأهمية لغتي، عندما شاركت في برنامج رعته إحدى الأكاديميات لتبادل اللغات، والتقيت من قطعوا آلاف الأميال طلبا لتعلمها وإتقانها، فمنهم من تعلمها لأسباب دينية حبًا في قراءة القرآن الكريم بلغته التي أُنزل بها، ومنهم من تحمل هذا العناء لأسباب ثقافية، إيمانًا منه بجذور هذه اللغة العميقة وأهميتها البالغة.

الأمـر الـذى يدفعنـا للشـعور بالغـيرة والحماسـة والتأسـف عـلى جحودنـا النعمـة الكبـيرة، أن وهبنـا اللـه تلـك اللغـة دون مجهـود منـا.

إن مـا أحلـم بـه ليـس ترفًـا ثقافيًـا، لأن اللغـة كائـن حـي يؤثـر ويتأثـر، والعربيـة تحمـل إرثـا وحضـارة عتيقـة، بالقطع تسـهم في انتشـارها في الأوسـاط المجتمعيـة وتأثيرهـا عـلى وجـدان وسـلوكيات وانتـماء للوطـن العربيـة، بشـكل إيجـابي.

ختامـا، يجـب التشـديد عـلى أهميـة تعليـم حـب اللغـة لصغارنـا، وإيـلاء الاهتـمام بتعليمهـا عـن اللغـات الأجنبيـة، إنـه دور الأسرة والمجتمـع ككل، حتـى نخلـق جيـلاً واعيًـا عاشـقًا للغتـه، التـي هـي هويتـه مـع تكاتـف الجهـود الرسـمية وغـير الرسـمية، وصـولا إلى هـذا الهـدف المنشـود.

# عشقي وملاذي

نهال الخضر – كاتبة مصرية

تعودت في الصغر أن أرى أمي تحمل دفترا صغيرا في حقيبتها، أو على أحد الأرفف الرُخامية للمطبخ، وفي أحد أدراج مكتبها الخاص بالعمل أو تحت وسادتها؛ حتى لا يقرأ سطورها أحد.

كانت كُلما حملت عتابا لا يصلح للبوح أو شوقا أو حيرة أو سؤالا ليس له إجابه سطرت في دفترها هذا ما بين ثنايا رُوحها وخففت من أعبائها.

تعلمتُ من أمي أن الورق يملك بياضا لا وجود له في قلوب المُحيطين، وحده الورق يسمح لنا بالبوح ويعطى لنا براح السماء والأرض، دون أن يشكو قطعهُ أو حرقهُ أو طيهُ.

كانت تدُون كل ما ترى وتشعُر وتتمنى، وأولويات كل عام، وكنت أقرأ بعد أن تُغلق دفترها ماذا دونت أمي اليوم.

تارة مواعيد برامج رمضان، وأجوبة الفوازير، وتارة أخرى الأقساط، مواعيد حلقات برنامجها المسمُوع المُفضل المُذاع على محطة القرآن الكريم، ودعاء لله، وقصيدة سمعتها من أحد الشُعراء المُفضلين لها، كانت قد كتبتها لأبي في فترة الخطبة، ومقادير كيكة محشوة بطعم الحُب والدفء، كتبت طريقتها بعد أن عرفتها من

أحـد برامـج الطهـى؛ كي لا تنسـاها وتصنعهـا لنـا فيـما بعـد في أمسـية شـتوية فنأكلهـا أنـا واخـى في أثنـاء المُذاكـرة.

أمـي تجيـد اللغـة الإنجليزيـة بطلاقـة وكان أبى كذلـك إضافـة للفرنسـية، ولكـن بقيـت العربيـة هـي الأقـرب للقلـب والعقـل، كانـت بالنسـبة لهـما عشـقا وهويـة وعقيـدة وإلزامـا عليهـم وفـرض كفايـة بـأن اللُغـة العربيـة هـي سـيدة اللغـات، وأصـل اللهجـات، وفخـر لمـن تحـدث بهـا وكتـب، وعـار عـلى مـن تخـلى وتـبرأ منهـا.

فشربـت حُـب اللغـة مـن والـدىّ كـشرب الوليـد مـن نهـد أُمـه، فأصبحـت عشـقي ومـلاذي.

في اليـوم العالمـي للغـة العربيـة لـو كُنـت أملـك أن أرسـم كُل حـرف مـن الحـروف الأبجديـة عـلى جُـدران الطرقـات؛ تكريمـا لهـا، لفعلـت، ولكنـى وجـدت الحفـاظ عـلى الهويـة أيـسر وأوقـع، فحافظـوا عـلى عقيدتكـم وهويتكـم؛ فمـن لا عقيـدة لـه ولا هويـة، سـهل عـلى الأقـدام أن تخطـو عـلى رقبتـه.

# من الألف إلى الياء

رؤوف جلال – كاتب مصري

تمضي الأيام سريعا، وما زلنا نتذكر عندما كنّا نردد ألف باء إلى الياء كل يوم دون كلل أو ملل خلف مدرس اللغة العربية خلال أيام مهّدت لما نحن فيه الآن.

تغنينا بها وعزفنا منها ألحانا راقت لأسماعنا وحواسنا، والمعلم كان كقائد الأوركسترا، يؤلف الأناشيد والأغاني خصيصا كي نرددها، لتسهيل عملية التعليم.

اللغة العربية لغتنا الأم، ويجب أن تكون هكذا دوما. وكان مدرّس اللغة العربية في مقام ولي الأمر، وكان رائدا للفصول في أي صف دراسي وأي مرحلة تعليمية وأي مدرسة كانت.

ما عانت منه العربية كغيرها من المواد انهال بثقله على مدرّسيها..

فالإسراف في التنظير أصاب اللغة بالجمود، والمنهج نفسه لم يتغير، وحتى أشكال الفصول ما زالت كما هي، وطرق التعليم تقليدية، ولا يوجد بها بوادر الابتكار والتغيير، فيما لم يعد المعلم هو الآخر للتعامل م كل هذا بشكل يضمن أداءه ما ليه بنجاح.

أستاذ اللغة العربية عانى كثيرا من تخبط القرارات وجهل القائمين على العملية التعليمية، كما أن إقحامه وتحميله مهاما أخرى لا علاقة له بها، قللت كفاءته، وأجهدته، حتى أصبح غير موجود، وغير مؤثر في حياة طلابه!

وحل ذلك: "البعثات العلمية، الدورات التدريبية، المسابقات، التشجيع للحصول على درجات علمية أكبر، المتابعة والإحصاء"، إضافة إلى تقديرهم ماديا وإلزامهم بتخصصهم دون غيره".

فقط نحتاج إلى الإيمان بقدرتنا على التغيير وبعض الضمير.

الحقيقة أنني كنت محظوظا بعض الشيء، لأني تعلّمت القليل في لغة الضاد، لكن هناك أجيال وأجيال تخرجت لا تعرف ماهية اللغة!

لذا فإن عودة معلمي اللغة العربية واجبة قطعا، وإعطاءهم بعض التقدير والامتنان، فرض عين.

وفي يوم عيد العربية وعيد مدرسيها، سأكتب لها ولهم: كل عام وأنتم جميعا بخير.

# باب الدهشة

نسمة تليمة – صحفية مصرية

كان أستاذ أحمد رجلا ودودا، لأول مرة أتتبع رجلا بخلاف والدى وإخوتي، نعم كنت أتتبعه، والتتبع هنا بمعنى التركيز والمحبة لكل ما يخبرنا به وعنه، فكان بالنسبة لي أول من يجذبني للضياء.

كان عمرى تسع سنوات في الصف الرابع الابتدائي، حين قررت مدرستي الحكومية المتواضعة زنين الجديدة ببولاق الدكرور أن يدخل مدرس رجل لطالبات الصف الرابع الابتدائي، وأن تتنحى المدرسات جانبا.

أستاذ احمد فهمى الرافض لكلمة مستر الرجل الصعيدي ذو البشرة السمراء، البشوش، الطيب ذو المزاج الرائق دائما، القادر على إقناعك بما يريده، يحقق لك بسهولة معادلة المعلم النبيل، ينصفك حين تحتاج إلى فهم زيادة، مراهنا معك على ما لا تراه أنت في نفسك.

ليه مش عايزنا نقولك يا مستر؟ كنت أسأله دائما ولا أفهم رده: عشان أنا أستاذ لغة عربية.

هكذا كان معلمي الأول في المدرسة، في فترة لا أعلم فيها سوى أننى طفلة عليها عمل واجباتها المدرسية، خلاف أطفال ٢٠١٦ فأنا كل ما أفعله أننى أستذكر دروسي وأنتظر ما يمليه علىّ والداى، طفلة مملة في كثير من الأوقات إلا أنها كانت تتعلق بالأشياء بسهولة، تدقق

في الأشـياء والأحـداث والأشـخاص، وكان هـو مثـل أعـلى لي كرجـل علـم طيـب لا يخيفنـا.

دائمـا مـا يدلنـا عـلى أبـواب جديـدة في الـدروس، يسـهل المعلومـة وإن أخبرتـه أننـى لا أحـب النحـو يـا أسـتاذ، فيخـبرني أن النحو لديـه القدرة عـلى جعـلي أبتسـم، وكأنهـا معادلـة جديـدة في الحيـاة يرشـدني إليهـا ذلـك الرجـل البعيـد، وبالفعـل تنصفـه السـماء بعدهـا بلحظـات وأسـتوعب مـا يقـال وأجدننـي أسـتطيع حـل السـؤال فأبتسـم وأنـا أندهـش مـن كل تلـك الطاقـة الخارجـة منـه، وأعـبر عـن امتنـاني لـه بالابتسـام وطلـب إحـدى الأجنـدات مـن والـدى الموظـف؛ لأهديهـا لـه في رأس السـنة .

قـد لا يقـرأ أسـتاذ أحمـد فهمـى مقـالي هـذا ولا يعـرف شـيئا عنـى، لكننـي لا أنـسى تلـك المـرة التـي ذهبـت فيهـا، للاشـتراك في إحـدى المسـابقات الشـعرية لطـلاب المـدارس، وأنـا أحفـظ عـن ظهـر قلـب تلـك القصيـدة القديمـة لأحمـد شـوقي بـرز الثعلـب يومـا والـذى كان مطلعهـا : بـرز الثعلـب يومـا...في شـعار الواعظـين وكانـت تنتهـى بالجملـة التـي طالمـا ،حببتهـا وأجدتهـا بنـاء عـلى تدريـب أسـتاذ أحمـد: مخطـيٌّ مـن ظـنّ يومـا أَنّ للثعلـبِ دِينـا.

لم يخبرنـا يومـا أو يطلـب منـا أن ندخـل الـدروس الخصوصيـة رغـم أنـه كان يعطيهـا عـلى اسـتحياء للبعـض ممـن يضعـف فهمـه خـلال الحصـة المدرسـية، وبسـذاجة طفلـه صغـيرة كانـت تـراه حبيبـا نبيـلا، دون أن تتحـول تلـك الرؤيـة إلى أي شيء سـوى الامتنـان والتركيـز معـه في الحصـة المدرسـية، وعمـل الواجبـات والتفـوق مـن أجـل رضائـه.

أتذكـر الآن أننـى حاولـت البحـث عنـه وذهبـت حـين تخرجـت مـن كليـة الآداب جامعـة القاهـرة إلى المدرسـة ذاتهـا، لأسـأل عنـه وجـاءني الـرد أنـه تـم نقلـه، وحـين قابلتـه صدفـه وتعرفـت عـلى ملامحـه، التـي تغـيرت بشـكل بسـيط بعـد أن زحـف الشـعر الأبيـض عـلى رأسـه، لم أتـردد وذهبـت بالحـماس ذاتـه الـذى صاحبنـي في الفصـل وأنـا أسـتمع لـه، وعرفّتـه عـلى نفـسى و ظللـت أذكـره بي، وبـكل تلـك المواقف، فابتسـم وصافحنـي وهـو فرحـا حـين أخبرتـه أننـى أعمـل الآن صحفيـة لم تأخـذ الصدفـة سـوى دقائـق، ولا أعـرف حتـى الآن كيـف رآني، وهـل شـعر بالإنصـاف حـين أخبرتـه تلميذتـه أنـه نجـح معهـا إلى هـذا الحـد مـن الامتنـان لـه؟

لكننـي شـعرت بالراحـة، فطالمـا رغبـت في إخبـاره أنـه أول مـن فتـح لي بـاب الدهشـة عـلى الحيـاة، أول مـن راهـن معـي عـلى حـروف غامضـة لم أع لحظتهـا الى أيـن تأخـذني وأنـا أحتـاج الآن إلى شـكره وتحيتـه.

# مراسيل الحب

معاذ رياض – قاص مصري

أنا واللغة العربية، ومدرسون ومدرسات كانوا مراسيل الحب بيننا. يحملون رسائلها إلي مرة بعد مرة، حتى بدأ قلبي يرق لها ثم يقترب قليلا إلى أن أصبح من مجاذيبها. وعلامة ذلك الانجذاب أني لم أعد أنتظر الرسالة القادمة بل اسعى بنفسي إلي المدرسين المتوسطين بيني وبينها كي يمدوني بالمزيد من بحرها. واقضي بين رفوف المكتبة ساعات اتنقل من كتاب إلى آخر مسحورا بعالمها الممتع.

وكتلميذ تنقل في مدارس كثيرة، من مصر الجديدة إلى أعماق الدقهلية، إلى مدارس مكة المكرمة، عرفت مدرسين ومدرسات للغة العربية ربما لا أذكرهم جميعا، ولكن كل منهم وضع لبنة في بناء المحبة وغرس بذرة للشوق وصب قطرة من عسل المتعة الذي تذوقته وأنا مع العربية.

في ثانوية الملك عبد العزيز بمكة، لا يمكن أن أنسى الأستاذ فهد الزهراني الذي قدمني لأمثل المدرسة في مسابقة أدبية وكانت لديه ثقة في نجاحي، حتى إنه رفض مشاركة زميل سعودي كان قد جاء في نفس يوم المسابقة طالبا أن يحل محلي لأنه من أهل البلد وأنا مجرد مقيم لا يحق لي تمثيل المدرسة.

وأشار الزميل بخبث إلى أنه سيكتب شكوى في هذا الأستاذ بسبب اختياره لي. ولكن الأستاذ أصر على موقفه وعندما حصلت على المركز الأول أصبح يحكي هذه القصة بفخر وهو يقول إنه يعرف كيف يختار من يفوز بالجائزة وإنه لم يعبأ بتهديدات الطالب المتعجرف. وبعد أن شاركت في المسابقة أهداني الأستاذ عددا من الأقلام وأشياء أخرى كهدايا ولكن تظل هذه المسابقة الأدبية هي أكبر هدية لي حيث ظهر اسمي في الجريدة مع الفائزين.

وكانت هذه بداية ارتباط اسمي بالأدب وبداية رحلة من الكتابة لم تكن غزيرة أو متدفقة كما يجب، وشابها الكثير من التصحّر والغياب وإن كانت لم تتوقف قط.

هذا الغياب دفع بي إلى قاع النسيان، فلم يطلب مني الأستاذ حسام مصطفى إبراهيم أن أكتب عن مدرسي اللغة العربية كما طلب من كتاب آخرين. ولكني دعوت نفسي للكتابة، فليس بيني وبينها حجاب ولا واسطة. ولعله ينشر كلماتي المتواضعة عنده وربما يقرأها أحد زوار موقع "اكتب صح" إن كنت محظوظا. وكلنا يدّعي وصلا لليلى كما يقولون، ولكن ليلى العربية لا تفتح أبوابها إلا لمن تحبه ويبدو أنها أحبّت حساما أكثر منا جميعا فاتخذته رسولا يبشّر بجنتها ويحذر من نار البعد عنها ويحنو على السائرين المتعثرين في طريقها ويأخذ بيدهم.

لنعد لموضوعنا عن المدرسين.

العجيب أن واحدا من أهم المدرسين الذين تأثرت بهم، هو الأستاذ أحمد نور الهدى في نفس المدرسة. وهو في الواقع مدرس أحياء وليس لغة عربية. ولكنه كان متميزا في لغته وكان شاعرا عظيما وخطاطا موهوبا. في أحد الأيام كان هناك مدرس غائب وأصبحت حصته خالية وسمح لنا ان نختار ما نفعله فيها. فقمت بجمع التوقيعات من طلاب الفصل كي نطلب من الأستاذ أحمد أن يشرح لنا "علم العروض" وقد استجاب لنا وشرح "بحر الوافر" لأن الوقت لا يسمح بشرح علم العروض كله.

قضيت أياما أحاول أن أفك شفرة هذا العروض العجيب وأن اركب كلماتي المتعثرة على بحر الوافر، الذي كان رغم سهولته عميقا وبعيدا علي. حفظت من البحر أبياتا وسمعت قصائده وأغانيه إلى أن جاء يوم كتبت فيه أول قصيدة من هذا البحر أخيرا. إن جمع التوقيعات والحصة التعليمية لم تضع هباء.

وفي أثناء كتابة هذا الموضوع، بحثت عن الأستاذ أحمد فوجدت فيديو في المدرسة تظهر في خلفيته لوحة عليها قصيدة له:

https://www.youtube.com/watch?v=JZL4C7CKqSk

وتصادف أنها أيضا من بحر الوافر. يقول مطلعها الذي يظهر خلف الشباب في الفيديو:

إذا غضب الفتى فقد اتزانه، وزايله التعقل والرزانة

وصار لكل شيطان حصانا، يصرفه وليس له حصانة

وأقوى الناس أحلمهم طباعا

وعرفت أيضا أنه قد تقاعد وأنهم صنعوا له فيديو يحكي تاريخه والشهادات التكريمية التي حصل عليها في مشواره:

https://www.youtube.com/watch?v=6IVYicMLWCk

وهذه لفتة طيبة جدا. يا ليتنا لا نكتفي بكلمات الشكر للمدرسين وأن نستخدم التكنولوجيا في تقديم الشكر بشكل حديث فيه صوت وصورة. هذا الفيديو يجمع الذكريات للمدرس والطلاب، كما يحفز باقي المدرسين الذين لازالوا يعملون في المجال التربوي أن يبذلوا جهدهم كي يتذكرهم الناس بالخير ويبحثون عنهم ويشكرونهم ويدعون لهم.

شكرا أستاذتي جميعا، لولاكم لما وصلت رسائل المحبة ولظل القلب جافا، يتجرع لغة أجنبية من هنا أو هناك دون أن يصل إلى الدر الكامن والجمال اللانهائي والاسرار الخفية لهذه اللغة الأبدية الخالدة.

# رسالة إلى العاقر التي أنجبتني

دعاء محمد – صحفية مصرية

أتممتِ اليوم تسع سنوات على رحيلك الأبدي، مضيتِ رغمًا عنكِ وعنّى، فشلت في أن أبقيكِ يا أمي، وأنتِ أيضا لم تشغلك الحياة وفضلتِ النعيم على البقاء إلى جواري، فإليكِ تحية وقُبلة اشتياق يا وجعي!

تعلمين أنى كبرت وأنهيت دراستي- التي لم تلق هوى عندك – تمنيتِ أن تكون ابنتك طبيبة فخذلتك، بكيتُ بعدك كثيرا، فارقتُ أناسا لا حصر لهم، ولكن رحيلك كان الدرس الأول في فقه الاستغناء، لم يعد فراق من أحببت مؤلما إذا قورن برحيلكِ.

أكتب إليكِ وأنتِ من علمني الإمساك بالقلم، لم تمنعك أميتك من تشجيع ابنتك التي لم تنجبيها، دوما كنتِ تحمّسينها؛ لتتعلم وتعمل وألا تنتظر رجلا يكن لها السند، فكانت وسيلة اللهو في بيتك هي تلك الورقة الصغيرة، التي أخط عليها عبارات قصيرة وحروفا مبعثرة -أشبه بالكلمات المتقاطعة- وبعد سنتى الأولى بالمدرسة الابتدائية، طلبتِ منى أن أعلمك كتابة اسمك رغم بلوغك الخمسين ربيعا، وبالفعل كنت كلما دخلت حجرتك وجدت عددا لا حصر له من الأوراق المكتوب عليها "عفاف علي" ولمعة عينين تقول هل مزيد!

وددت يـا أمـي لـو أنصَفَـك عمـرك، وكان بمقـدار طموحـك، فقـد رحلـت وأنـتِ تكتبـين ذاك الاسـم رباعيـا، وأصبـح المحاسـب يلحـظ رفضـك القاطـع لاسـتخدام الختـم عنـد اسـتلام المعـاش.

أذكـر يـوم تـورد وجهـك وهـو يثنـى عليـك، وفى لحظـة النجـاح تلـك أشرت إلىّ وأخـبرتِ الغريـب الـذى لا يعرفنـي أن ابنتـك هـي صاحبـة الفضـل في تلـك الطفـرة، رافضـة اقتراحـه بـأن تجعـلي الخطـوة الأخـرى هـي كتابـة الاسـم بالإنجليزيـة، والسـبب عشـقك للعربيـة، مـرددة لـو أطـال اللـه في أجلـك سـتتعلمين مـا يمكّنـك مـن قـراءة قصـار السـور فقـط، حتـى لا يحرمـك اللـه الأجريـن لقـارئ القـرآن، وهـو أمـر شـاق عليـك، كنـتِ تبتغـين فضـل اللـه في تعلـم الأحـرف القليلـة، التـي حصلتيهـا بعدمـا بلغـتِ مـن العمـر عتيـا.

سـلامٌ عليـكِ في جنـة نحسـبك تنعمـين فيهـا بـكل مـا لم يخطـر ببالـك يومـا، أناجيـكِ ودومـا فـلا تخلفـي وعـدك، مـا زلـت تكفكفـين دموعـى حـين أغفـو وأنـا أبـكى، عـلى أمـل بلقـاء قريـب في المنـام يـا أمـي، إلى أن يشـاء ربى ويجمعنـا في الآخـرة.

تلألأت اللؤلؤة بين اللآلئ- نور الهدى فؤاد

منـذ صغـري وأنـا أشـعر بانتـماء كبـير تجـاه اللغـة العربيـة، تلـك اللغـة الغنيـة بالمعـاني الدقيقـة والكلـمات ذات الرنـين الصـوتي الرائـع، بعكـس أغلـب اللغـات الأخـرى التـي تحتمـل كلماتهـا الكثـير مـن المعـاني ومتشـابكة التراكيـب.

كـما لم أعـترف يومـا بالفرانكـو آراب، وكنـت أحـب دائمـا شـكل اسـمي بالعربيـة ورسـمه وزخرفتـه، بـل كنـت أغـار عليهـا عندمـا أسـمع المسـؤولين المصريـين يتحدثـون الإنجليزيـة، بينـما يعتـز كل مسـؤول أجنبي بلغتـه ويتحـدث بهـا، ومـن ذلـك تعمـدي أن أكتـب اسـمي بالعربيـة عـلى الفيـس بـوك، فلـماذا يكتـب بالإنجليزيـة وكأنهـا قاعـدة افتراضيـة؟!

صاحبتنـي اللغـة العربيـة منـذ الصـف الرابـع الابتـدائي، حيـث كنتُ في مدرسـة خاصـة ولا اهتـمام بتدريسـها، حتـى كانـت مدرسـة اللغـة العربيـة خرّيجـة تجـارة، إلى أن جاءنـا مـدرس العـربي الجديـد "هـاني" الـذي كان يحادثنـا ويـشرح لنـا بالفصحـى، بـل ويتعمـد أن تكـون جملـه مطعّمـة بالسـجع والقافيـة، فكانـت حصتـه بالنسـبة لي متعـة سـمعية وتعمقـا في سـحر اللغـة وجـمال اسـتخدامها وتأمـل مرونتهـا عـلى لسـانه.

والحقيقـة أننـي أديـن بالفضـل الأول في حبـي للغـة والكتابـة لهـذا الرجـل، بدايـة بالتعبـير الـذي كنـت متفوقـة فيـه، والوحيـدة بـين زميـلاتي التـي تحصـل عـلى درجتـه النهائيـة، وحتـى عمـلي الصحفـي الـذي كانـت الكتابـة السـبب الأول لسـعيي لـه، إلى أن هـدأ هـذا الولـع مـع كتابـة المقـالات التـي مـا زلـت أحبـو في رحابهـا.

ولا أنـسى أوّل أبيـات كتبتهـا بالصـف الرابـع وأهديتهـا في كارت لأمـي بمناسـبة عيـد الأم، كانـت تقـول: أمـي يـا أمـي يـا أجمـل وجـه، أمـي يـا أمـي يـا أجمـل حـب، كل نقطـة في دمـي تحمـل جميلـك يـا أمـي، كل نبـض في قلبـي يهتـف باسـمك يـا أمـي. كانـت تلـك الأبيـات بدايتـي مـع عشـق الكتابـة وتطويعهـا للتعبـير عـن نفـسي وعـن أفـكاري.

أما أبي فما زلت أذكر عندما كان يطلب مني قراءة الجريدة بعد أن ينتهي منها لتصحيح نطقي اللغوي وتحصيلي للمفردات المختلفة بعد أن يشرحها لي، وأكاد أقسم أن حصيلتي اللغوية التي شعرت دائما بثرائها مقارنة بأقراني على مدى مراحل حياتي حتى الآن، كانت بسبب قراءتي للجرائد في سن صغيرة.

فلم أكن يوما شغوفًا بالكتب، ناهيك بمسابقات الكتابة التي كان والدي يجريها بين أطفال العائلة والتي أذكر منها جملة "تلألأت اللؤلؤة بين اللآلئ"، وكنت أخطئ دائما فيها، وكذلك جلسات قراءة القرآن في رمضان مع إخوتي بالتناوب بيننا، فكنت أستمتع بقراءته بصوت عال وخشوع وتمعن في معانيه وروعة تراكيبه وتشبيهاته المصحوبة بشرح مبسط من والدي، لذلك رغم عدم تمكني الكامل من القواعد اللغوية التي تؤرق كتابتي كثيرا وتعوقها، بالإضافة إلى نسيان قواعدها أولا بأول، فإنها ستظل دائما تحظى بشغفي وعميق حبي وتقديري، وسأعود لها دائما بين الحين والآخر للتذكرة والتزود واكتساب ما يفوتني منها من جديد.

# أعشق التفاصيل

بسمة شيخو – شاعرة سورية

حظي كان جيدًا فيما يتعلق بأساتذة اللغة العربية، فلم يأتِ من يستطيع تشويه العلاقة بيني وبينها، ولا حتى أن يخدشها، إلا أنهم كانوا يفعلون ذلك ربما مع طلابٍ آخرين، فهم بشكلٍ غير مباشر أو مقصود يغرقون الطالب ببعض التفاصيل حتى يشعر بأنه أضعف بكثير من أن يواجه هذه اللغة، حتى تصبح شبحًا مخيفًا!

وهذا الخوف أو الكره للغة أو قواعدها والهروب منها وتسخيف كل ما يتعلّق بها يبقى مرافقًا للشخص.

يكبر ولا يعرف سبب ما يشعر به، ولماذا يكفّنه العجز إن فكّر بتصحيح صورة اللغة في مرآته الداخلية.

ينسى حينها أن أستاذ الطفولة قد كسر ترك المرآة وحكم عليك بعقدةٍ أبدية، كيف لا والأستاذ هو أول من يفتح لنا الباب ويدخلنا لعالمٍ جديد بالكامل، أحرف وكلمات وجمل، حركاتٌ تسبح وأصواتٌ تعجّ بالمكان.

كنت أعشق التفاصيل التي يعرضها أساتذة اللغة العربية، أسجّل ما يذكرونه سريعًا بعد ترديد ستدرسونه في سنوات لاحقة -الالتزام الشديد بالمنهج الدراسي كان يزعجني- ، فأحرص على معرفته في نفس اليوم من إخوتي.

كانت مدرّسة اللغة العربية في المرحلة الإعدادية -منى صبري- تفرض الحديث بالفصحى خلال حصتها، ولا مجال هنا لقبول الخطأ أبدًا، البعض كان يتلكأ بدايةً، لكن الأمر يصبح ممتعًا فيما بعد.

كنت ألاحق الأشعة التي تلمع بين القصائد؛ أتأمّل روعة هذه اللغة بعد أن يشرح أستاذ العربي في المرحلة الثانوية محمد طويلة -الأستاذ الأحب على قلبي- كيف يختزل بيتٌ شعري عالماً كاملًا، وكيف يكون لاستخدام كلمةٍ معيّنة في مكانها الصحيح الأثر الأكبر بإيصال الفكرة، بعض شروحاته مازالت حاضرة في ذهني توّسع تلقي الكلام كلّما ضاقت الأحكام المسبقة ببعض الجُمل في رأسي.

القواعد كانت لعبتي المفضلة، متعة لا توصف أن أقوم بإعراب لكثير من الكلمات وأحياناً دون طلبٍ من أحد، أغيّر حركات الكلمات وأراقب اختلاف المعاني، أتابع برامج تعليمية لصفوف أعلى، أصغي للأساتذة عبر التلفاز الذين كانوا يقدّمون كلّ ما لديهم بإخلاص بالغ، برنامج "المناهل" والذي لن يعرفه إلا جيل السبعينات والثمانينات كان معلماً أيضاً للعربية في صغري مع بعض الفقرات "افتح يا سمسم" من منا ينسى أبو الحروف.

أما اللغة العربية في الجامعة فلم تحضر إلا كمادة خجول، يستغرب الجميع وجودها باعتبار اختصاصي الجامعي "الفنون الجميلة".

إلا أن الإهمال هذا لم يبرز إلا بعد أن فرضوا على طلبة الماجستير مناقشة رسائلهم بلغة عربية سليمة، النتائج كانت كارثية لكنني نجوت وتذكرت "منى صبري" وتذكرت كم كنت محظوظة!

# لأنى ولدت وتعلمت في قرية

مي حمدي – شاعرة مصرية

لحظات قليلة هي التي أشعر فيها أننى محظوظة، لأنى ولدت وتعلمت وأعيش في قرية!

بالأمس كانت أحد تلك اللحظات، هنا فقط أستطيع زيارة أحد أساتذتي في الحادية عشرة مساء، وسؤال زوجته عنه، فتشير إلى إحدى المصاطب التي كنا نذهب إليها، ونقابله عندها ويأخذنا ليعطينا درسنا في بيت لا يخلو من ضجيج أطفال ذاهبين وعائدين من الحقل أو المدرسة، ونساء بجوار مشاعل لا تنطفئ.

يتحجج لزوجته بأنه سيمشّى معنا قليلا لحمايتنا، ويعود إليها وهو يضحك من كذبته البريئة المكشوفة.

وأستاذ بهاء فقط هو الذى يُشعرك بالود من الثانية الأولى، ويُقسم أنه يتذكرك، حتى يستدرجك للحديث، ويستطيع تذكرك بالفعل، حتى إن مرت ست سنوات، وفى إيجاز يخبرك كل ما فاتك من أحداث، ويسأل عن الأحوال والأخبار.

وعندما عرف أنني لم أتزوج قال بشفقة أبوية "الجدعان عميت والله!"، قبل أن يحكى ويضحك ويُحببك في الحياة كما هو محب لها!

أساتذة اللغة العربية في القرى، أحيانا يكون لهم سمت شيوخ الجوامع، كما نقرأ في الروايات، وأستاذ بهاء واحد من هؤلاء، لكن خطبته دائما ما كانت حكاية من عصر النبي، لأن جامعه المفضل مصلوه من كبار السن وهم "زى العيال الصغيرة بيحبوا الحواديت"، وقد كانت دروسنا كلها حواديت، والشعر يقرأه لنا كالحواديت والدين والقرآن كله حواديت، ولا أذكر أنه عنفنا أو عاقبنا أبدا!

هناك صورة رومانسية عند بعض الناس، ومأساوية عند آخرين عن الدين وتلقيه في القرى، لكن هناك حكاية أستاذ مصطفى-مدرّس لغة عربية أيضا- وأستاذ بهاء، وزميل ثالث، كانوا يذاكرون معا، فدخلت أم أستاذ مصطفى تحمل الشاي، ومدت يدها لمصافحتهم، فالزميل الثالث رفض مصافحتها لتدينه! لكن إن مددتَ يدى لأستاذ بهاء أو أستاذ مصطفى سيصافحني أنا أو أي فتاة أو امرأة أخرى، لتعاهدهما على ذلك منذ تلك الواقعة، لأنه "ما ينفعش أكسف واحدة ست ولا بنت أنا لما أسلم هيجرى إيه يعني؟!".

هؤلاء هم من تلقّيت بعض حكاياتي منهم وبعض حكاياتي عنهم، أعطوني أنا وفتيات جميلات أخريات بجانب العلم وَنَسا، كنا بحاجة إليه، وحياة حيث الخير له صخب.

# العربية بين يدي معلماتي

سامية مصطفى عياش – روائية فلسطينية

ما الذي في وسعي تذكره عن معلمات اللغة العربية الآن؟

في الصف الرابع تحديدا، وبينما أعاني قلة التأقلم إثر انتقال إقامتنا من الأردن إلى الإمارات، وفيما أختبئ من العيون في الصفوف الخلفية، نادتني المعلمة ماجدة: اقرئي!

كانت هذه الكلمة تشبه قردا قفز على صدري، قفز وانتهى، وستبدأ الآن مرحلة السخرية العالية، ولسانه الممدود نحوي.. اقرئي، اسمك سامية صح؟ وأبلع ريقي بصعوبة.. ولا أنطق. أجلس في الكرسي وأبدأ في موجة بكاء صامتة. تنادي المعلمة ماجدة علي، تناولني دفترها وأقلامها، مثلما كانت تفعل مع الطالبة الأولى على الصف، أدخل غرفة المعلمات، تعرّفني المعلمة ماجدة على بقية المعلمات، تقول لهم: سامية بنت شطورة.. ستقرأ لنا الحصة القادمة بصوت أعلى..

يبدأ التحدي بيني وبين نفسي، أقرأ الدرس ثلاث وخمس وتسع مرات، أمام أمي يصبح الدرس سهلا مثل جرعة ماء، لكن في الصف: أحاول رفع يدي للمرة الأولى، أقرأ، أتلعثم، أقرأ، أتأتئ، تصبر المعلمة، أقرأ.. لماذا لا أقرأ الدرس مثلما أقرأه في البيت؟ أصاب بالإحباط، تعطيني قصة من المكتبة: اقرئيها قبل البنات! أقرأ أمام أمي، أقرأ قبالة المرآة، أقرأ أمام أبي، أمام جارتنا الهندية..

في الصف أقرأ، أتلعثم، تصبر المعلمة، تصحح، أقرأ، تصفق لي، تصفق البنات خلفها، بعد مدة بسيطة أصبح ثاني بنت تقرأ في الصف. سأصبح أول من يقرأ قريبا، أقول لنفسي دائما حتى صرت..

لم أكن أعي مثل الآن أن القراءة مفتاح اللغة، بابها الذي يقوّم نفوسنا، هذا التحدي الذي زجتني فيه المعلمة ماجدة، أول نافذة تفتح، أول طريق أعبرها نحو العربية..

ما الذي أذكره بوضوح أيضا؟

ورقة التعبير التي وُزعت على جميع بنات الصف العاشر عداي، لتنادي عليّ المعلمة مريم سعيد أخيرا، باسمي الثلاثي، أمام ثلاثين طالبة، بكوب مليء بالشوكولاتة مطبوع عليها: هذه أول مرة أعطي طالبة علامة كاملة في التعبير، رغم ذلك، العلامة ليست مهمة بقدر إيماني أنك ستصبحين كاتبة مهمة.. اقرئي يا سامية، اقرئي واقرئي.

الدقائق العشرة التي خصصتها لي معلمتي مريم بعد ذلك، كانت تطوي خجلي رويدا رويدا، أنا البنت الخائفة من الكلمات العاطفية، المترددة في البوح، المتلعثمة في ذاتها، القلقة من النظرات حولها حين تحكي عن الغربة والوطن..

هذه المحبة المعجونة بالثقة هي ما أظل أذكره، الطبطبة على الكتف، والمسح على رأسي وكأنني قلت شيئا يستحق الالتفات، الاندفاع بعدها نحو الكتابة وكأن شيئا في قلبي يمكن أن ينتهي لو لم ألحق به..

لم أسجل في كلية الآداب، سجلت في كلية العلوم، قسم الأحياء، كنتُ خائفة من الاقتراب من الأدب، كمادة دراسية، مادة يمكن الاختبار بها، فيما تعني لي مساحة التدفق والحياة، ظللت أشك أن قراري كان صائبا حتى قابلت الدكتور عادل أسطة، قائلا: أنت عاقلة يا بنت.. هذا أفضل ما يمكن فعله للإبقاء على وهج الكتابة، أدرّس النقد الأدبي، وكلما بدأت كتابة شيء ما نقدت نفسي آلاف المرات حتى تفسد الكتابة أو يفسد المزاج لها.. أي والله عاقلة!

سأقول إنني أصدقه، وأصدق تكراره: كي تظل الشعلة متوقدة، اقرئي، فقط!

# انعزالك بداية اكتشافك

ميرنا عادل النجار – كاتبة مصرية

هـذه هـي السـنة الثانيـة التـي أحتفـل فيهـا باليـوم العالمـي للغـة العربيـة، ورغـم أن الاحتفـال بـه يعـود لعـام ٢٠١٢ أي منـذ أربـع سـنوات، فإننـي بـدأت الاحتفـال بـه مؤخـرًا.

كنـت طفلـة بليـدة في مدرسـتي، أحفـظ بصعوبـة وأفهـم بصعوبـة أكـبر، وإذا حفظـت فإننـي أنـسى، وإذا فهمـت فإننـي أفهـم في نهايـة الفصـل. وكان هنـاك عـداءٌ كبـيرٌ بينـي وبـين الورقـةِ والقلـم. كنـت أنتظـر نهايـة الفصـل الـدراسي حتـى ألقـي بهـما جانبًـا ولا أراهـما إلا بعـد مـرور أشـهر الصيـف و الدخـول في العـام الـدراسي الجديـد.

كنـت أيضًـا طفلـة دون أي موهبـة، وهـو مـا كان يحـرك بداخـلي مشـاعر الغيـظ عندمـا تسـألنا المعلمـة بعفويـة "مـا هوايتكـم؟"، فيجيـب الجميـع بينـما أرد بـكل انكسـار "لا شيء"!

ومـرت السـنوات حتـى التحقـت بالجامعـة، وأنهيـت عامـي الـدراسي الأول، وهنـا بـدأت أتسـاءل مـن أنـا؟ ومـاذا أحـب؟ ومـاذا أكـره؟ متـى سـأبدأ البحـث عـن ذاتي؟ فكانـت البدايـة.

وجـدت منشـورًا لمجلـة كليتنـا تعلـن رغبتهـا في اسـتقبال دفعـة ثانيـة مـن الطلبـة ليمارسـوا مهنتـي "الصحافـة" و"الكتابـة". لم يكـن لـدي أي شـعور سـوى أننـي أريـد أن أبحـث عـن نفـسي، وأخـوض التجربـة في جميـع المجـالات.

قدمـت مقـالًا كتبتـه في محـاضرة اللغـة العربيـة، وبعـد شـهر مـن إرسـاله جاءتنـي رسـالة عـلى البريـد الإلكـتروني: "مبـارك، لقـد تـم قبولـك في المجلـة".

تحمّسـت بشـدة، وبـدأت أبـذل قصـارى جهـدي في التدريـب، وتعلمـت فيهـا فـن كتابـة الخـبر والتقريـر والعمـود الصحفـي، وبـدأت أسرح بأفـكاري وأسردهـا عـلى الـورق، وبـدأت التعليقـات الإيجابيـة تنهمـر، ربمـا كانـت حقيقيـة وربمـا لا، لكنهـا كانـت مشـجعة.

وهنـا بـدأت أكتشـف جـزءًا صغـيرًا في نفـسي: أننـي "أسـتمتع" بالتعبـير عـما بداخـلي مـن خـلال الكتابـة. وبعـد ذلـك اسـتكملت رحلتـي الصغـيرة في الكتابـة والتـي جعلتنـي أكتشـف أن اللغـة العربيـة بالنسـبة لي هـي" لغـة التعبـير". وهـذا أمـر يصعـب عـلى أحـدٍ اكتشـافه، وإذا اكتشـفه فإنـه يكتمـه!

للأسـف في عصرنـا هـذا، يعـد "كـره" اللغـة العربيـة ميـزة، ومـن الأشـياء التـي يجـب أن تفتخـر بهـا، فـإذا أخـبرت أحـدًا أنـك تحـب اللغـة العربيـة فأنـتَ بالنسـبة لـه شـخصٌ غريـبٌ، أمـا إذا أخبرتـه أنـك تحـب لغـةً أخـرى، فأنـتَ بالنسـبة لـه شـخصٌ متحـضر.

وهنـا بـدأت ألقـى جميـع الأصـوات الخارجيـة بعيـدًا، وأسـتمع إلى صـوتي فقـط. بـدأت ألقـى كل هوايـات الآخريـن بعيـدًا، وأسـتمع إلى هوايتـي فقـط. بـدأت أتـرك العنـان لأفـكاري، ووجـدت أن الوسـيلة هـي القلـم، واللغـة هـي اللغـة العربيـة الفصحـى. عندهـا فقـط اكتشـفتُ جـزءًا صغـيرًا منـي، جـزءًا دفنـه داخلنـا المجتمـع ونحـن لا نشـعر!

أحيانًـا نحتـاج إلى أن ننعـزل عـن العـالم لفـترة مـن الزمـن حتـى نعـرف مـن نحـن، ونكتشـف جـزءًا صغـيرًا داخلنـا. ولهـذا أقـول لـك عزيـزي، لا تكـره شـيئًا قبـل أن تمارسـه. إذا لم تكـن محبًـا للغـة العربيـة، فـارمِ بعيـدًا كل شيء سـلبي عنهـا، وابـدأ بدايـة جديـدة، تكـون أنـتَ والإيجابيـون فقـط فيهـا.

# المدرس الذى سقط من ذاكرتي!

د.رضوى زكي – كاتبة مصرية

أتصفح منذ أيام مواقع ثقافية متعددة تشير إلى "اليوم العالمي للغة العربية" الذى يوافق الثامن عشر من ديسمبر، وأثار شعار اليونسكو في هذا العام "تعزيز انتشار اللغة العربية"، شيئا من الخجل في نفسى لم أفهمه!

فما دوري في تعزيز انتشار اللغة العربية؟ حديث يدور في ذهني: عن أي دور أتحدث وأنا أعانى مشاكل جمّة مع لغتي الأم؟!

أظلّ في كل مرة أكتب فيها نصًا عربيًا – بأي هيئة كانت- مقالا، بحثا، تدوينة، تحريرا، أعانى من كثرة أخطائي، لا سيّما أخطاء النحو، ولا أخفيكم سرًا أنها شنيعة، أستعين بمصحح "Word" الذي يواري عورات ما أكتبه، ويُخفي كثيرًا مما لا أحب لأحد الاطلاع عليه.

ما المشكلة يا ترى؟

أو بمعنى آخر: كيف أصلح ما أفسده التعليم إن كنت جادة في محاولاتي للكتابة بشكل صحيح؟

أعود بذاكرتي لأتذكر لماذا لم أحب اللغة العربية في صغري، وأكره النحو على وجه الخصوص.

كانت درجاتي سيئة في هذه المادة خلال سنوات الدراسة الثانوية، وتحررت من قيد الكتابة العربية بدخول الكلية، كانت أغلب المواد تُدرس بلغات أجنبية وانتهى الكابوس، لا لم ينته، لقد بدأ لتوّه، فأنا أحاول طول الوقت إدراك ما فاتني من سنوات العمر بعيدا عن الكتابة العربية، أحاول بصبر لعلني أدرك ما قد فات.

أتذكر اليوم، السبب في تلك المأساة، إنه بلا شك مدرس اللغة العربية!

لكن أي مدرس أقصده، أفتش في ذاكرتي كثيرًا، لعلى أتذكر أي مدرس للغة العربية مرّ على في سنوات عمرى، بلا جدوى، تتجلّى أمامي ذكريات آخر درس حضرته في اللغة العربية قبل امتحان الصف الثالث الثانوي مباشرة، لقد سقط مدرسو اللغة العربية من ذاكرتي، كما سقطت اللغة العربية من حساباتي سهوا لفترة قبل أن أقرر الصُلح معها، وأسعى إليه بخطوات حثيثة!

هل ألوم مدرس اللغة العربية الذى لم يُقنعني بجودة وأهمية وعظمة بضاعته فانصرفت عنها؟ أم ألوم نظامًا تعليميًا بائسًا يهتم بأي لغة سوى لغته الأم؟

ربما أكون أكثر إنصافًا فألوم نفسى، قد تكمن المشكلة في عدم إدراكي في الصغر لعظم حاجتي للتعبير بلغتي الأم بصورة سليمة شفاهة وكتابة، فشعرت بالنفور من قواعد تُدرس بصورة منفّرة، وأشعار ونصوص نثرية لا أفهم ما فائدتها أو جدواها، وفي جعبتي الكثير من الذكريات البائسة تجاه منهج تدريس اللغة العربية.

"التائب من الذنب كمن لا ذنب له".

مـا دام في العمـر بقيّـة، فهنـاك دائمـا فرصـة جديـدة، ألتمـس العـذر لـكل مـدرّس حـاول أو ثابـر معـي وخذلتـه، وأسـامح مـن قـصّر في حقـي، فأنـا المقـصرة، ثـم بذنبـي اعترفـت، وأولى خطـوات التوبـة الإصـلاح.

فلنتواصل بالعربي، ولنكتب بالعربي من اليوم.

# اثنان

سامية علام – صحفية مصرية

ربما لم تكن مادة اللغة العربية هي الأحب إلى قلبي، لكنني كنت أشعر دومًا بدافع خفي يقودني للتفوق فيها رغمًا عني!

ربما هي الرغبة المبكرة في العمل بالصحافة وإدراك الحاجة لتقوية اللغة! ربما الحرص على درجات المادة والخوف على المجموع، وربما هو الشكل العام فقط أمام المدرسين والزملاء.

وهكذا مرّت علاقتي بمدرّسي اللغة العربية عابرة جدًا وتقليدية للغاية، أستمع للشرح، أذاكر قليلًا جدًا، أتفاعل نادرًا، أحصد الدرجات! لا أعرف هل أعتب على نفسي أم على السادة المدرّسين، لنفوري منها، وعدم التعمق فيها، فكثيرًا ما ضايقني اهتمامهم بقلة من الطلاب، شأنهم شأن باقي المدرسين، وإن كنت من هذه القلة، كما لم أجد فيهم محبًا للغة حريصًا عليها، كانت لأغلبهم -إن لم يكن للجميع- مجرّد عمل روتيني ومرهق وممل!

كما أنني لم أكن أقتنع كثيرًا بالنصوص "المعقّدة" وأبيات الشعر التي تحتوي على كلمات بائدة، فأنا أرى الشعر حسًا وتذوقًا، أما الأدب فكان مستفزًا لي بما يتخلله من أحداث تاريخية لا أعرف حتى الآن ما الجدوى من دراستها، ناهيك بـ"كابوس" النحو و"الإعراب" وتباري المدرسين في تحدي الطلبة بتعقيده وزيادة صعوبته!

لكن أغلب الظن، كنت أجد نفسي مقتنعة بأن العربية ينبغي ألا تكون مجرّد مادة دراسية محكومة بدرجات ووقت ومنهج ثابت، فهي أداة إبداع وتذوق وتعبير.

في المرحلة الثانوية، وربما كان للمشاعر والمراهقة دور في ذلك، تغيّر الحال تمامًا، اثنان من المدرسين جعلا من حصة اللغة العربية وقتًا ممتعًا أنتظره، الأول أستاذ منصور، كان خفيف الظل ومرحًا وكان يضرب الأمثال الحية من حياتنا المعاصرة لتقريب كل جزئية يشرحها، كان بسيطًا وتلقائيًا وحتى النحو كان ييسره بأسهل طرق الشرح، وهناك سبب آخر لا بدّ من ذكره للأمانة، فقد كانت حصته هي الحصة الوحيدة التي أرى فيها حبيبي، زوجي حاليًا.

الثاني أستاذ مصطفى، الذي كان نموذجًا لمدرس العربية كما ينبغي أن يكون، محبًا للغة، يتغنى بأبيات الشعر، ذا ثقافة واسعة بعلومها، هادئ الطباع، لا يملّ ولا يتضايق من كثرة الاستفسار، منفتحا على اللغة وليس ملتزمًا بمنهج عقيم.

وإن كنت أدين بفضل في حب اللغة العربية أو تميّز في الكتابة، فغالبًا لن يذهب الفضل خارج هذين المعلمين، وأثق كثيرًا أن مثلي المئات أحبّوا العربية من خلالهما.

# مريم شمسان.. الراحلة الباقية

هدى الصاوي – كاتبة مصرية

لم تكن "أبلة مريم" تشبه أحدًا..

فتاة رائعة الجمال، صوتها موسيقى تبهجنا.. تغنّي لنا في الطابور الصباحي.. وتدرسنا مواد اللغة العربية (قواعد النحو، الأدب والنصوص، البلاغة والنقد، والتعبير)، كنا نحن -الدفعة السادسة من مدرسة تحفيظ القرآن الأولى بجدة، بالمملكة العربية السعودية- الدفعة الوحيدة التي حظيت بها معلمة للغة العربية طوال سنوات الثانوية الثلاث..

بدأت معنا من حيث انتهت معلمات المرحلتين الابتدائية والمتوسطة من شحننا بالغضب من اللغة العربية.. تعرفت إلينا -بنات الصف الأول الثانوي- ونحن لا نُحسن الكتابة، ولا الإملاء.. خطوطنا معوجّة ولغتنا ركيكة -رغم حفظنا للقرآن- نستصعب الإعراب ونكره حفظ النصوص وترهقنا حصص التعبير..

بدأت معنا "أبلة مريم" من الصفر.. تحملت عناء تعليمنا الهمزات ووضع التنوين على الحرف الذي يسبق ألف نهاية الكلمة.. لم تتذمر أبدًا من جهلنا وكراهيتنا للعربية.. أهدت لنا قلبها.. وأغرقتنا بفيض محبتها العظيمة وأمسكت بأيادينا الغضة حتى تخرجنا وكلنا

أديبات وشاعرات.. كلنا.. خطنا يشبه خطها، وتذوقنا للشعر يشبه روحها الأديبة.. وكلامنا وفكرها صدى لروحها الطاهرة.. كانت لنا أمًا.. وكنا لها زهورًا لم تمهلها الحياة لتراها تتفتح عن شابات يافعات ناجحات مؤثرات في مجتمعاتهن على اختلاف جنسياتهن..

تحملت "أبلة مريم" من أجلنا الكثير.. وضعها كمحبوبة وحيدة اجتمعت عليها كل البنات كان يؤرق إدارة المدرسة الصارمة.. اتهمت أنها تفسد الطالبات عندما وسعت مداركنا بالقراءة.. وعندما علمتنا أن وراء هذا العالم المغلق عوالم أخرى مشرقة.. ووراء هذه الوجوه القاسية التي تحيطنا حياة واسعة بها غامض كبير جميل اسمه الأمل..

علمتنا كيف ننطق، وكيف نمسك بالقلم، ونكتب.. علمتنا كيف نغني، وكيف نفرح.. علمتنا الحب، والشعر، وتذوق الأدب.. علمتنا كيف نحترم انسانيتنا، ونعتز بأنوثتنا.. ونحسن اختياراتنا..

لم تتركنا "أبلة مريم" حتى بعد تخرجنا في المدرسة.. كانت تجمعنا في بيتها الجميل، تسمع منا.. وتحكي لنا.. وتحتضننا وتخفف عنا..

كانت محاربة في زمن يائس، وشجاعة جدا في مجتمع خائف، كانت النور والأمل والحب والحياة.. كانت وهج العمر، وحلم الطفولة وسحر الشباب.. كانت وحدها كل نوافذنا.. وكل تصديقنا بأن وراء الأبواب الموصدة سعادة لا بدّ أن تأتي..

ولأن الملائكة لا تسكن الدنيا.. رحلت في هدوء بعد أن تألمت في صمت.. دون أن نشعر جميعا.. انسلّت من بين أيدينا مخلّفة لنا فاجعة لم نبرأ منها رغم مرور سنوات عشر على رحيلها..

قتلتها قسوة الحياة، ولم يحتمل قلبها الحي أبدًا هوان الدنيا.. اختارها الله أولا لأنها كانت أنقانا وأطهرنا.. رحلت وتركت خلفها جيلا من بناتها.. يبكيها كل يوم.. ويدعو لها الله في كل صلاة أن يرحمها كما رحمتنا.. وأن يجمعنا بها كما جمع قلوبنا على محبتها..

رحمة الله عليكِ يا معلمتي الأثيرة.. وإنا على العهد باقون.. يا حبيبتي.. حتى نلتقي

# هدية الله للأرض

رضوى شلش – صحفية مصرية

بـدأت علاقتـي باللغـة العربيـة عندمـا بـدأت أكتـب يومياتي منـذ نعومـة أظفـاري، ولكنهـا كانـت لغـة ركيكـة أقـرب إلى لغـة المراهقـات ولكننـي كنـت أحـب أكتـب.

حبـي وشـغفي باللغـة العربيـة غـير مرتبـط بمعلـم أو مدرسـة، لكنـه نابـع مـن داخـلي وحـدي ومـن شرح والـدتي للقـرآن الكريـم، فلـم أقابـل عـلى مـدار تعليمـي معلـم لغـة عربيـة يجعلنـي أتشـبّع باللغـة، أو يشـعل الشـغف المختفـي داخـلي تجاههـا، إلا مـدرس اللغـة العربيـة في المرحلـة الثانويـة "محمـد عبـد الحميـد".

كان ضخـم الجثـة وبدينـا جـدًا و يتعامـل مـع اللغـة كأنهـا صينيـة "مكرونـة بالبشـاميل" يريـد أن يلتهمهـا كلهـا! وفي الوقـت نفسـه يريدنـا أن نتقـن اللغـة شـئنا أم أبينـا!

كنـت أنتظـر حصتـه عـن الأدب والبلاغـة لمعرفـة الجديـد في تشـبيه القواعـد النحويـة بـالأكل، كي "نتشـبع" بهـا، عـلى حـد قولـه، وكان يغضـب جـدًا عندمـا أطلـب إلغـاء الحصـة أو أعتـذر عـن المجـيء، فيـما أمـي دائمـة الشـكوى مـن صوتـه العـالي الـذي يصـل إلى كل رد في المبنـى!

كان دائم الشجار معنا عند تخلفنا عن عمل المطلوب، أو عدم حفظ القواعد، قبل أن يدعو علينا لأننا غير متفوقين بما يناسب لغة عريقة تعتبر أما للغات الأخرى!

أحببت اللغة بسبب الكتاب الذين حولوها لقصائد وروايات وقصصا ممتعة، مثل رضوي عاشور ونجيب محفوظ ومحمود درويش، وغيرهم.

ازداد تعلقي باللغة العربية عندما نضجت أكثر، ونلت شرف الاحتكاك بالكثير من المتشبّعين بها فعلا، وكنت كلما وجدت كلمة في رواية أو كتاب لا أعرف معناها، أجري على القاموس، لأفهم سرّها، أضف إلى هذا حبي للخط العربي، الذي يصوغ حروف اللغة في أشكال رائعة، تكاد تكون بحرا لا ينتهي من الجمال!

لا أعلم ماذا أكتب بالضبط عن اللغة، هدية الله للأرض، وعن بحر العميق الي لا نصل إلى نهايته أبدا، وفي كل يوم جديد، نستخرج المزيد من لآلئه.

لكن سأكتفي بالقول إني حقا أحبّها.

# حضر الكتاب وغاب المعلم عن الذكرى

سونيا بوماد – روائية لبنانية

عصرتُ مخي محاولة تذكر أول لقاء لي مع مدرّسي اللغة العربية، في مدرستي الخاصة التي كان يُشرف على برامج التعليم بها، أحد فروع منظمة الأمم المتحدة.

عصرت مخيلتي فلم أجد فيها غير كتاب فاخر للقراء العربية يحتوي بين صفحتي غلافه الجميل على نصوص لأدباء العالم العربي والعالمي وتعريف صغير في آخر الدرس عن الكاتب وصورة رائعة من روائع الفن التشكيلي والكلاسيكي من عصور مختلفة مع تعريف عن صاحب اللوحة المختارة.

ألوان مزجت بعناية ليتماشى موضوعها مع النص الأدبي، فتتكامل الصورة في مخيلة التلميذ بين جذب للعين وأسر للفؤاد، طبعا إلى جانب دفتر التطبيق وجمالية كتابة الخط العربي.

نعم حضر الكتاب وغاب المعلم عن الذكرى، فبسبب الحرب، إقفال المعابر، رصاص القناصين أو الانفجارات التي كانت توزّع في كل مكان دون رحمة، لم نحظ بمعلمين ثابتين يباشرون معنا الدروس بانتظام..

أحيانا يعطينا الدرس أستاذ التاريخ أو مدرّسة اللغة الفرنسية أو مدرس الرياضيات، فللضرورة أحكام!

أما حصة الإنشاء، فهي ما طبع في بالي -وما زال- وجه المدرسة وقلمها، يرافقاني خلال كتاباتي حتى الآن، والإنشاء شيء متعلق بدروس اللغة العربية، يُظهر مقدرة الطالب على الإبداع والسرد، ويُعطي المدرّس فكرة عن ميول التلميذ وقدرته على التعبير.

وما زلت أذكر قلم المعلمة الأحمر وهو يجول فوق جملي وصفحاتي بعد أن تقرأ ما كتبت وهي باسمة، فتنظر إلى عيني التي ملأتها الدموع لتعزّيني بكلمات قليلة قائلة: "لقد طلبت منك موضوع إنشاء ويجب ألا يتجاوز الصفحة الواحدة، يا صغيرتي أسلوبك الروائي وإسهابك بالسرد سيختزل علامتك، وللمرة الألف أقول لك يجب أن تتعلّمي فن الاختصار وفتح القوس أمام من يقرأ لتتحيّر مخيلته في معاني ما كتبتِ، ولتتركي له الخيار أن يُقفل القوس من جديد على ما علق في ذهنه".

وحتى اليوم ما زلت لا أدري إن كان ما يحكم كتابتي الآن، أنا أم صوت معلمتي، أم الاثنان معا؟

# المدرس العاشق

محمد رفيع – روائي وكاتب مصري

فارق كبير بين أن يدرس لك أستاذ لغة عربية مجيد في توصيل المعلومة، وآخر يعشقها، فيتسرّب هذا العشق ليعدي بعض الطلاب المؤهلين لذلك.

عندما يحدث ذلك فإن طاقة نور تنفتح أمام عشق اللغة والإبحار فيها، لأن المدرس العاشق يكون مدججا بأمثلة من الشعر والنثر في كل المواقف، ويستطيع بسهولة الاستدلال ببيت شعر هنا وهناك ولغة رصينة فصيحة يقدم بها الحفلات أو حتى يتحدث بها طيلة الوقت.

بالتأكيد كان لديّ مدرس فاضل في المرحلة الابتدائية والإعدادية شديد التأثير على عشقي للغة منذ صغري. اسمه "عرفة محمد سيد"، ظللتُ متعلّقا به طول دراستي، أزوره حتى لو لم يكن هو مدرسي في الفصل.

كان غزير المعرفة مُلمّا بقواعد اللغة، شديد التأثير على الطلاب، دمث الخلق، طريفا في مداعباته اللغوية، وهو أوّل من شدّ انتباهي إلى أحاجي اللغة والمواقف الطريفة، و جعلني في طفولتي أكتب الشعر وأدخل مسابقات الإلقاء المدرسي، وكان يختار لي قصائد من أزمان شتّى، فمن الشعر الجاهلي للشعر الإسلامي للشعر الكلاسيكي.

أذكـر مـرة أننـي اخـترت قصيـدة بلقيـس لنـزار قبـاني، فوافـق عـلى الفـور، رغـم أن المعتـاد في ذلـك الوقـت اختيـار القصائـد الحماسـية والدينيـة للشـعراء الأوائـل، لكنـي ألقيـت جـزءًا مـن قصيـدة بلقيـس التـي كان يـرثي فيهـا نـزار زوجتـه، في مسـابقة كل القصائـد كانـت فيهـا حماسـية أو في مـدح الرسـول.

وكنـت أحفـظ عنـه وأجمـع طرائـف اللغـة مثـل الأبيـات الشـعرية غريبـة المعنـى مثـل "طرقـت البـاب حتـى كلّ متنـي فلـما كلّ متنـي كلّمنـي" والكثـير مـن شـاكلة هـذه الألاعيـب اللفظيـة والجمـل التـي تُقـرأ اليمـين لليسـار والعكـس، لتكـون الجملـة نفسـها، مثـل: "عقـرب تحـت برقـع" و "سر فـلا كبـا بـك الفـرس" وكنّـا نتبـارى -نحـن طلابـه- في جمـع هـذه النـوادر والأشـعار، وأحـاول تقليدهـا، وأقـرض الشـعر عـلى غـرار الشـعر المـدرسي، وهـو أول مـن أعطـاني فكـرة عـن العـروض، حتـى إني كنـت أؤلـف أبياتـا لأسـتدل بهـا في مواضيـع التعبـير وكأنهـا قيلـت عـلى لسـان شـاعر راحـل، لإثرائهـا بالأمثلـة والأشـعار والآيـات القرآنيـة، حيـث كانـوا يعلمونـا ان موضـوع التعبـير الـذي يسـتدل فيـه لتدعيـم رأي الكاتب يكـون موضـوع تعبـير كامـل البيـان، لذلـك كنـت أدسّ أبياتـا مـن تأليفـي عـلى لسـان شـعراء معروفـين، ولسـت أدري عـلى كـم مـن المصححـين انطلـت هـذه الخدعـة الطفوليـة.

كنـت أيضًـا أذاكـر كتـاب البلاغـة لسـنوات دراسـية أكـبر منـى، وأحفـظ منهـا أبياتـا مـن الشـعر، وفي المرحلـة الثانويـة لم أكـن أفتـح كتـاب البلاغـة مطلقـا، وأعتـبر أن مـن كان مثـلي لا يحتـاج لمنهـج في البلاغـة!

وفي المرحلة الثانوية، التقيت مدرسا مخضرما، اسمه مصطفى حسن، كنت أطلب منه أن يشرح لي أجزاء من المعلّقات، حيث اكتشفت أن الأبيات القليلة التي توجد في كتاب المدرسة، ما هي إلا جزء صغير من المعلقة ككل، فذهبت لأبحث عنها مكتملة، وأحفظ أبياتا منها، وما زلت أذكر بعضها، حيث كنت ألقيها على نفسي في طريق العودة من المدرسة، كمعلقة عنترة التي مطلعها:

هَل غَادَرَ الشُّعَرَاء مِن مُتَرَدَّمِ أَم هَل عَرَفتَ الدَّارَ بعدَ تَوَهُّمِ؟

يَا دَارَ عَبلَةَ بِالجِواءِ تَكَلَّمي وَعِمي صَبَاحاً دَارَ عَبلَةَ وَاسلَمي

كانت أحب الحصص لي، حصة النصوص والتعبير، حيث كنت أنطلق في التعبير لأسوّد صفحات وأتبارى مع زملائي في عدد الأسطر التي ربما بلغت المئة أحيانا.

وأذكر أيضا أنني حين كنت في الرابعة من عمري، كنت أحفظ القصائد مع عمي وهو يذاكر دروسه وقد كان في السنة الثالثة الثانوية، وحين وقعت لي حادثة سيارة، ظنوا أني فقدت الذاكرة غير أني حين رأيت هذا العم، تلوت عليه ما كنّا قد حفظناه معا، وكانت قصيدة لسلمى خضراء الجويسي، فتهلل الأهل ساعتها لأن ذاكرتي لم تفقد.

ويبدو أن هذه المواقف وغيرها، والتعلم على أيدي مدرّسين يعشقون اللغة، نقل لي هذا العشق منذ الصغر، وما زلت مدينا لهم بكل حرف تعلّمته على أيديهم. والشكر واجب لمن علّم الأطفال، لا لُينهي المنهج الدراسي، لكن ليبثّ فيهم روح التحدي والابتكار وعشق العلم واللغة، فهؤلاء حماة الوطن، ولا يختلفون عن جيشها المحارب هناك على الحدود.

# لولاهم ما تذوقت جمال الأشياء

رضوى علي – كاتبة مصرية

كنت صغيرة لا أعي من اللغة العربية إلّا الحروف الأبجدية كما علمتني إياها معلمتي بروضة الأطفال.

كانت ذات وجه أسمر بشوش، تربط كل حرف من الحروف بما يبدأ به من أسماء الحيوانات والفاكهة، فكان الألف صديق "أرنب" وكانت الباء صديقة "بطة" وكانت التاء صديقة "تفاحة".

كانت تقص علينا ما تيسر كل يوم من قصص الأنبياء، نجلس قبالتها مسحورين ونحن نستمع إلى ما تقرأه علينا من كتاب القصص الذي كان دائمًا بحوزتها، حتى إذا ما أحبّت مكافأتنا على شيء تقرأ لنا منه، كُنا نسمع في سكون تام ما تقرأه الأبلة علينا من كلام منظوم له وقع جميل على آذاننا ولكننا لا نعيي منه شيئا، كانت تحب أن تقرأ لنا القصة باللغة العربية.

أذكر أننا لم نكن نمل سماعها أبدا، كُنا كمن يستمع إلى أغنية لا يفهم لغتها لكنها تُطربُ روحه وأُذُنيه، وحين تنتهي من قراءة فقرة من القصة كانت تشرحها لنا بلغةٍ مبسطة، فتحكي لنا قصة سيدنا إبراهيم وكيف نجاه الله من نار قومه، وقصة ذئب يوسف وكيف برّأه الله من أكل لحم النبي الكريم، وهكذا تشكل في وعيي الطفولي أن معلم اللغة العربية، مدخلنا لكل ما هو سحري وجميل.

في المرحلة الابتدائية، كان الأستاذ عبد الصمد هو معلم اللغة العربية في مدرستي بسوهاج، وهو رجل وقور يُجيد تلاوة القرآن الكريم، لهُ صوتٌ شجي ما إن يبدأ في قراءة آيات الذكر الحكيم حتى يُنصتُ جميعنا في خشوع ورهبة، حتى أن منّا من كان يبكي متأثرًا لما نسمع، دون أن نفهم لماذا يُبكينا صوته، ومع ذلك كُنا نخشى إغضابه أو التسبب في ضيقه حتى لا يعاقبنا بحرماننا من سماعنا لصوته العذب حين يرتل علينا الآيات الكريمة.

وحين تركت المدرسة وسافرت إلى القاهرة التحقت بمدرسة ابتدائية قضيت بها عامين، كان معلم اللغة العربية وقتها هو من علّمنا كيف نصلي، كان يتوضأ ويأتي بسجادة صلاة وفي حصة الاحتياطي يصلي أمامنا ويشرح لنا كيف أننا حين نُصلي فإننا نتوجه بكُليتنا إلى الله، وأننا حين نرفع أيدينا في تكبيرة الإحرام ونقول الله أكبر فإننا نرمي خلف ظهورنا كل ما يُخيفنا ويُزعجنا لأن الله أكبر من كل شيء، كُنا صغارًا على أن نعيّ ذلك كله، لكنني حين كبرت بعض الشيء وبدأت أصلي كنت كلما هممت برفع يدي للصلاة يردد قلبي أن الله أكبر من كل ما أخاف وكل ما يُثقل روحي، لذا فأنا مدينة بثواب ذلك كله لمعلمي في الصفين الرابع والخامس الابتدائي.

وحين التحقت بالمرحلة الإعدادية، كانت الأستاذة آمال رحمة الله عليها هي معلمة اللغة العربية، كانت حنونا وصديقة لنا جميعًا، هي من شجعتني على القراءة، كانت تقول إن لي صوتًا قويًا ولا بُدّ أن أتغلّب على خوفي حتى ترشحني لفريق الإذاعة المدرسية، فكانت تحثّني على الوقوف أمام زميلاتي في الفصل لأقرأ عليهم ما كان مقررًا علينا من نصوص نثريةٍ وشعرية.

أسلوبها كان جميلا في شرح النصوص الشعرية، وأذكر أنه في الوقت الذي كان يشكو زملاؤنا في المدرسة من صعوبة مواطن الجمال في النصوص كُنا نحن نفهمها ونحفظها عن ظهر قلب، ومُنذ ذلك الحين وجماليات اللغة العربية ارتبطت معي بروح الأستاذة آمال، بما فيها من عذوبة وجمال وبراح يتسع لما يجول في خاطر المرء منّا.

ثم كبرنا بعض الشيء، والتحقنا بالمدرسة الثانوية، تناوب على تدريسنا اللغة العربية ثلاثة مُعلمين، كانوا جميعهم كآبائنا، كانت حصة اللغة العربية تشبه أم جميع حصص اليوم الدراسي، فمعلمها له النصيب الأكبر من حصص اليوم، لاتساع فروعها، من نحو ونصوص وقراءة وبلاغة وأدب.

وكان لنا بين ذلك كله متسعٌ من الوقت لنوجه ما يشغلنا من أسئلة إلى معلمنا، كنت أذهب إليه بقصيدة قرأتها في جريدة الأهرام أشكو له أن معانيها يستعصي عليّ فهمها، فيقرأها عليَّ مرارًا وتكرارًا حتى أشعر بوقع الكلمات على روحي وحين يبدأ في شرحها أكون كمن يقرأ القصيدة لأول مرة، فقد أضاف لروحي أبعادًا وفتح لي طاقات نورٍ جعلتني فيما بعد أتذوّق الكلمات وتعيها روحي قبل أن تُدرك معناها.

كُنا وقتها ندرس قصيدة لأبي فراسٍ الحمداني، وأذكر أنه طلب منّا أن نذهب ونستمع إلى القصيدة أولًا بصوت السيدة أم كلثوم كواجب، قبل أن يبدأ في شرحها لنا، لذا فله الفضل الأول في أن عرفت روحي السيّدة أُم كلثوم، وأن أصبحت من مجاذيبها، وكلما سمعتها تشدو بقصيدة تذكرت معلمي ودعوت الله أن يبارك عمره، ويزيده جمالًا وسعةً في روحه.

وفي الصف الثاني والثالث الثانوي كنت أذهب إلى دروس اللغة العربية في بيت صديقتنا إيمان، كان أستاذنا آنذاك الأستاذ أشرف، موسوعيا، يحدثنا في الفقه والأدب والبلاغة، يحكي لنا عن الأدباء والشعراء ومن أثروا اللغة بحروفهم، أذكر أنه حين كان يوبّخني لتقصيري في مراجعة دروسي كان يقول "اتقِ الله يا سُعاد" .

مرّةً تلو الأخرى حتى تشجعت وسألته من تكون سعاد، فقال:

"بانَتْ سُعادُ فَقَلبي اليومَ مَتْبولُ
مُتَيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مَكْبولُ
وما سعادُ غَداةَ البيْنِ إذ رَحَلوا
إلاّ أَغَنُّ غَضيضُ الطَّرْفِ مَكْحولُ
تَجْلو عَوارِضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابْتَسَمَتْ
كأنّهُ مُنْهَلٌ بالرَّاحِ مَعْلولُ"

فأبتسم لوقع الكلمات وجمال نظمها، وتبتسم صديقاتي الحاضرات، ونتوسل له أن يشرح لنا معاني القصيدة، فيخبرنا أن الوقت لا يكفي على وعدٍ منه أنّا إذا التزمنا مذاكرة دروسنا في المرّة المقبلة، فسوف يكمل لنا قراءة أبيات القصيدة ويشرح جماليتها ويحكي قصة صاحبها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لـه الفضـل في أن علمنـا قـراءة الشـعر وحبّـب إلينـا البلاغـة، كان يتحـدث عـن بلاغـة سـيدنا عـليّ كـرم اللـه وجهـه وفصاحـة المتنبـي ولوعـة أشـعار قيـس بـن الملـوّح وعذوبـة معانيـه، قربنـا مـن قواعـد النحـو وحببهـا إلينـا، كان يقـول أن النحـو رياضيـات اللغـة العربيـة.

في الواقـع، أنـا مدينـةٌ بـكل مـا تعلمتـه، سـواء أكان خاصـا باللغـة العربيـة أو بالحيـاة عمومـا، لمعلمـي اللغـة العربيـة هـؤلاء، فلولاهـم مـا تذوقـت جـمال الأشـياء.

# إنه أبي

رحاب ولي الدين – كاتبة مصرية

في العام الماضي كتبت في اليوم العالمي للغة العربية موضوعًا بعنوان لماذا أحب العربية، شارحة سبب حبي للغة العربية، لكن هذا العام كان طلب حسام مختلفًا بعض الشيء، فقد طلب مني أن أكتب موضوعًا عن علاقتي بمعلم اللغة العربية وكيف كان تأثيره على حبي لها.

الحقيقة أني حبي للغتي الجميلة يبدأ من أبي رحمة الله عليه، فهو معلمي الأول. كان والدي رحمه الله أزهريًا درعميًا، وكان معلمًا للغة العربية ثم موجهًا ثم مديرًا لإحدى المدارس.

في صغري طالما سمعت أبي يتحدث بالفصحى حتى في المنزل، بل كان كثيرًا ما يحادثنا بجمل كاملة باللغة الفصحى، أو عندما يزورنا الأصدقاء، أو وهو يتكلم في الهاتف قائلًا مرحبًا أو حيّاك الله وبيّاك وجعل الجنة مثوانا ومثواك.

وفي المدرسة، كنت أثق في مهارة أبي وخبرته اللغوية خلاف الأطفال الذين يقدسون معلومات المعلمة أكثر من الأم والأب، وطالما واجهت معلماتي قائلة لكن أبي يقول لي غير ذلك.

في بداية الابتدائية، أذكر معلمتي صف مصريتين ودودتين جدًا هما ثريا وصفاء، أما في النصف الثاني من الابتدائية، كانت معلمتي سورية الجنسية تحمل اسم سناء. كانت أبلة سناء كما تعودنا على مناداتها جميلة جدًا شكلًا وخلقًا وكانت حازمة للغاية مع ذلك، ولأنني كنت متفوقة، فقد حظيت بتفضيلها على الدوام. أذكرها وأدعو لها كثيرًا الآن أن يحفظها الله ووطنها من كل سوء.

يبدو أن معلمات الابتدائية أثرن في نفسي أكثر من معلمات المرحلتين المتوسطة -كما يسمونها في المملكة العربية السعودية أو الإعدادية كما يسمونها في مصر- والثانوية، فمن عجب أن أذكر أسماءهن أكثر مع أنني أعاني من ذاكرة أصبحت ضعيفة مؤخرًا.

لكن يظل أبي هو أكثر من وضع بصمته في حبي للغة وعشقي للقراءة، فقد كان عاشقًا للغة القرآن محبًا للقراءة راغبًا في أن يكون أبناؤه كذلك هادفًا لذلك في تربيته لنا.

رحم الله أبي وجزاه خيرًا وجزى الله معلماتي من أذكرهن ومن لا أذكرهن ورزقهن الصحة والعافية أينما كانوا وحلوا.

# إلى أستاذ م.ب.. محاولاتك لم تفشل كثيرا

دينا سعد - كاتبة مصرية

كان نصيب تعليم اللغة العربية في الابتدائية لأبلة ليلى.

لم تك أبلة ليلى المعلمة اللطيفة التي تدفعك إلى حب مادتها، فهي تنفعل كثيرا وصوتها مرتفع دائما، تحب الصراخ جدا وتعشق المبتدأ والخبر أكثر من تلاميذها، حاولت أن أغير فصلى؛ كي أهرب منها لكنني فشلت، كنا نأخذ حصة اللغة العربية يوميا، وكنت أخشاها أكثر من أي شيء، ترتب على ذلك كرهي لتلك المادة شكلا وموضوعا، قلبا وقالبا.

كان من عاداتي وأنا صغيرة أن أربط حبى للمواد الدراسية بمدرسيها، ولذلك فكان من العسير أن أحب مادة اللغة العربية، وللأسف من جاء بعد أبلة ليلي لم يكن أفضل منها؛ فمعلمي هذه المادة يشبهون بعضهم إلى حد كبير؛ ولم يختلف معلمي في المرحلة الابتدائية عنه في الإعدادية، هم غالبا أشخاص ملتزمون يتحدثون اللغة العربية بطلاقة يصعب فهمها، ينفعل في أثناء الشرح ويغضب لأسباب لم أكن أراها كافية للغضب.

ومن هذه الأسباب كلمة أخطأت في إعرابها مثلا، ولكنهم في جميع المراحل لم يعلموا أو يؤثروا في ذاكرتي إلا بالسلب حتى جاء معلم الثانوية العامة، والذى بدأ تغيير الصورة المستقرة في ذهني من سابقيه.

أستاذ م.ب كان مختلفا عن الجميع، ورأيت فيه بصيصا من الأمل، وهو طويل جدا يصل إلى الباب، أسمر البشرة ومتزمت قليلا، متعصب للغته جدا، لكنه أراد لي حب اللغة أخيرا.

كان يتحدث معي عن جمال البلاغة والأدب وعندما استشعر أنني أحب القصص قرر أن يقرأ لي القصة المقررة خطوة بخطوة؛ كي أستمتع بها.

وقد استطعت أن أتصالح مع بعض فروع اللغة بعدما كنت أشعر أنني أواجه بحرا كبيرا وعميقا، بلا أي طوق نجاة، فهي مادة غير المفضلة بالنسبة لي وتتوج ذكرياتها أبلة ليلى و أبلة نجلاء والكثيرون منهم، أحببت الأدب والبلاغة والشعر، ولكن ظلت مشكلة النحو قائمة كعفريت يحضر وفشلت كل المحاولات لصرفه.

لقد كان يسرق لي من الزمن وقتا ليعلمني اللغة، فحقا لم أكن أشعر أننا نقرأ في القصة لمدة ساعتين، ونناقش موقف فلان وموقف فلانة بمنتهى الجدية.

استطاع معلمي أن يغير لي فكرة المعلم الحافظ مش فاهم وقد لقنني درسا حقا لن أنساه، فطريقة إلقاء المعلومة لا تقل أهمية عن المعلومة نفسها، وكل شيء قابل للحب لو علمت مفاتيحه، سوف ينتهي كل شيء صعب حينها.

لم تكن اللغة العربية أصعب شيء، فطريقة تدريس معلمي اللغة كانت أصعب من اللغة نفسها!

# رسالة إلى أستاذي العزيز.. نحن على شفا جرف

سعيد محمود – شاعر وصحفي مصري

أستاذي العزيز عبد العزيز

تحية طيبة وبعد..

أبعث إليك بتلك الرسالة وأنا لا أعلم إن كنت معنا في ذلك العالم أم في عالم أفضل، راجيا المولى عز وجل أن تغفر لي تقصيري في حقك، رغم أن صورتك وكلماتك يسكنان في مخيلتي منذ اللقاء الأول في مدرستي الابتدائية.

أكتب إليك رسالتي يا أستاذي العزيز لأشكو من حال اللغة العربية التي علمتني إياها، فلم تعد تلك اللغة المهيبة تتمتع بنفس القدر من الاهتمام في تلك الأيام، وأصبح مدرس المادة مجرد موظفا يؤدي ما عليه بروتينية مبالغ فيها، غير مبال بمدى إتقان طلبته لما يعلمه لهم، فيخرج الطالب بعد ذلك لا يفقه من لغته إلا أقل القليل.

تخيل يا أستاذي أن طلبة الجامعة هذه الأيام لا يستطيعون التفرقة بين المنصوب والمجرور، ولا يدركون أن "كان وأخواتها" تختلف تماما في تأثيرها عن "إن وأخواتها"، بل إن الطين زاد بلة يا سيدي فلم يعد أحد يعلم مواضع الهمزة في الكلمات، ولعل أشد ما يحزن أن ممتهني الصحافة، وهي المهنة التي تعتمد في المقام الأول على

الحرف، أصبحوا من الهاوية على شفا جرف، فلا يدرك أغلبهم -إلا من رحم ربي- تمييز الأعداد أو أبسط القواعد الإملائية، وتجد منهم من يكتب "الانتخابات" واضعا همزة أعلى الألف لتصبح "الأنتخابات"، ومنهم من يكتب اسمه دون اكتراث، فتجد "أحمد" تكتب "احمد"، و"مصطفى" تكتب "مصطفي"، بل إن هناك من يصر على أن كلمة "تحسبا" تكتب "تحثبا"، ناهيك عن الأخطاء التي تأتي من عينة "فطعنه بطلق ناري" وما خفي كان أعظم.

إن أشد ما يحزن يا أستاذي أن أصحاب مهنة الحرف رغم تلك الأخطاء الكثيرة التي يندى لها الجبين، يجادلون عندما يتحدث معهم المصححون ومحررو الصياغة في تلك الأخطاء، وينظرون إليهم نظرة المتعال الذي يرى أنه لا يخطئ، وأن تلك الأخطاء وإن وجدت فهي عادية جدا، لأنه وظيفتهم الأساسية من وجهة نظرهم هي الإتيان بالمعلومة، أما الكتابة السليمة فلا تدخل في نطاق المهنة لأن هناك من يقوم بالتصحيح بعد ذلك، ولهذا فهم يرون أن كتابة كلمة "جنيه" بحرف الحاء بدلا من الجيم لتصبح "حنيه" هو شيء عادي جدا ولا يجب أن نلفت انتباههم له، وهو ما يثير التساؤل عن كيفية اجتيازهم لمراحل التعليم والحصول على الشهادة الجامعية، ثم الانتساب لنقابة الصحفيين العريقة، ألا تتفق معي يا أستاذي أنها كارثة بحق، كارثة تسبب فيها أساتذة المدارس والجامعات، عندما أهملوا الإخلاص في مهنتهم فخرج الطلاب من تحت إيديهم لا يفقهون شيئا.

في نهايـة رسـالتي يـا أسـتاذي العزيـز، يجـب أن أشـكرك بشـدة عـلى مـا فعلتـه معـي في المرحلـة الابتدائيـة، فلـم تكـن حصتـك أبـدا كمثلهـا مـن الحصـص، وكان كل مـا يقـال منـك يلتصـق بالأذهـان، لأجـد أن حبـي للغـة العربيـة وحـرصي عـلى تعلمهـا ومعالجـة أي تقصـير منـي في حقهـا يعـود الفضـل كلـه فيـه -بعـد اللـه تعـالي- إليـك يـا سـيدي، وأرجـو أن يخلـق اللـه مثلـك الكثـير في المـدارس والجامعـات، ليتبـدل حـال اللغـة الغربيـة إلى الأفضـل.

# مشوار الكراهية والعشق

كارولين كامل – صحفية وكاتبة مصرية

لا يمكـن أن أطلـق عـلى علاقتـي باللغـة العربيـة، أنهـا علاقـة حـب مـن الكلمـة الأولى، عـلى العكـس كانـت البدايـة مؤلمـة وطويلـة، حيـث تعلمـت الإمسـاك بالقلـم قبـل دخـول المدرسـة، لأن أمـي المُعلمـة بالثانـوي التجـاري تـرى أن البدايـة حجـر الزاويـة، فكانـت تُجبرنـا عـلى كتابـة أسـمائنا عـشرات المـرات عـن طريـق الأعمـدة، تضـع كل حـرف منفصـل في عمـود ونُعيـد كتابتـه عـشرات المـرات، ولأن اسـمي مكـوّن مـن سـبعة أحـرف فكنـت أكرهـه وأكـره الكتابـة والأحـرف بشـكل عـام!

بـدأت المرحلـة الدراسـية وأنـا أعشـق الأرقـام واللعـب بالعمليـات الحسـابية، وكانـت علاقتـي باللغـة العربيـة مبهمـة تمامًـا، خاصـة النحـو والـصرف، لا يمكننـي فهـم منطقهـا وبالتالي لا أسـتطيع الاحتفـاظ بقواعدها في مخـي مـا دمـت لم أقتنـع بهـا!

أمـا المحفوظـات فلـم تكـن مشـكلة كبـيرة، خاصـة مـع أبيـات الشـعر، ولكـن مـا كان لافتـا بالنسـبة لي، هـو عشـقي للتعبـير، كنـت أنتظـر الحصـة التـي تطلـب فيهـا المُعلمـة الكتابـة عـن أي موضـوع، ولكـن خطـي الـذي يشـبه "نعكشـة الفـراخ" كان يحطـم أحلامـي بالحصـول عـلى الدرجـة النهائيـة مهـما أبدعـت في الكتابـة لأن لا أحـد يسـتطيع فـك طلاسـمه حتـى أنـا شـخصيًا.

لم نبدأ الدروس الخصوصية إلا في الشهادة الابتدائية، وكنهج أبناء عائلتي كان مدرس اللغة العربية أستاذ محمد السيسي معلّم الأجيال ملاذهم، فلحت ابنة عمي الكبرى وأختي الكبيرة في إنهاء المرحلة الابتدائية لديه رغم المعاناة والذكريات الأليمة، وربما لساندويتشات "المخ والسمين" التي اعتاد والدي إغراءنا بها للاستمرار مع المدرس الذي يضرب الطلبة بالسلك الكهربائي، دور في صمودهن، إلا أن هذه الإغراءات لم تفلح مع ابنه عمي الأخرى وأنا وأخي الأصغر، لأكثر من شهر، وأقسمنا حتى لو وفر لنا والدي مسمطا بأكمله فلن نستمر، نعم كنا أطفالا يمكن شراء خوفنا وذمتنا بساندويتش "مخ" وليس كيسا من الشيبسي كالأطفال العادية.

بدأت كتابة أول قصة قصيرة وأنا في المرحلة الابتدائية، واشتركت في جميع المسابقات الخاصة بالأبحاث المدرسية والكتابة، وفزت بأول شهادات استثمار تساوي ١٤ جنيها لحصولي على المركز الأول على مستوى المديرية في كتابة بحث، ولا أعرف حتى الآن ما أهمية هذه الشهادات أو فيما تستخدم ولكني أحتفظ بها تذكارًا، ولعل الفضل لوالدي الذي ساعدني على تنمية ملكة الكتابة لدي ويشجعني كلما دونت قصة أخجل الآن من قراءتها وأضحك كلما طالعت الدفتر السري الذي دونت فيه هذه القصص الطفولية واحتفظت به لليوم.

استمرت أزمة النحو والصرف معي حتى مرحلة الثانوي، وقالها لي المدرس "يا بنتي إنتي مش نافعة خالص في العربي" لم يلتفت لمقدرتي على التذوق الأدبي، وفي كل مرة يلح على أن التزم بالجماليات المذكورة في الكتاب المدرسي وألا أتطرق لجماليات في النص لا وجود لها في المنهج الوزاري، فكنت أنشغل عنه وأبحث عن الجماليات التي تمسّني، وكانت درجاتي في الامتحانات خير دليل على فشلي.

كنت أقضي الوقت في قراءة الروايات العالمية المكدّسة في مكتبة والدي، بعد أن أخبئها في درج مكتبي وأسهر بالساعات، فيظن والداي أني منهمكة كطلبة الثانوية العامة، وصدمتهم درجاتي بعد ظهور النتيجة لقضائي كل هذه الساعات، وعدم حصولي على مجموع يؤهلني لكلية الطب، كنت أجلس لأكتب عشرات المواضيع الخيالية عوض بذل المجهود ذاته في الاستذكار، لأني اكتشفت عشقي للكتابة، وحينها كانت الكتابة دون هدف، فقط لممارسة متعة التدوين بالقلم على الورقة.

في مرحلة الدراسة الجامعية، اكتشفت أن أزمة اللغة العربية سوف تلازمني أربع سنوات أخرى، لأني التحقت بقسم الإعلام، وبالفعل كانت أول مادة أحصل فيها على صفر: النحو والصرف في السنة الأولى، ولكن حصولي على المركز الثاني في كتابة القصة القصيرة في العام ذاته، أصابني بحالة من الدهشة، كيف تكون علاقتي بقواعد اللغة في منتهي السوء إذا ما اعتبرنا أن الصفر يُشير لوجود أي علاقة بالأساس، وفي الوقت ذاته تحصد قصصي مراكز في مسابقات يخوضها طلبة قسم اللغة العربية بالكلية!

استمرّت العلاقة المريبة التي جمعتني باللغة العربية ما بين عشقي للأحرف والكلمات والكتابة والقراءة وتذوق الجماليات، وعجزي التام عن استيعاب قواعدها وأركانها، واعتمادي على الموسيقى لضبط تشكيلها وإعرابها قدر الإمكان، وما أكتبه للأسف يشوبه الكثير من الأخطاء النحوية المخجلة، ما دفعني لمحاولة القضاء على هذه الجريمة في حقي وحق اللغة التي أهواها بمطالعة كتب عن قواعد اللغة، وأعلم أن حتى الآن ما زلت بحاجة لتحسين علاقتي بالنحو والصرف.

اللغة العربية كفيلة بأن تُسيل دموعي مثل اللوحات الجميلة، فإذا ما قرأت في رواية جملة تفنن الكاتب في تراكيبها وخيالها أظل أصرخ "عملها ازاي ده ابن اللذينة"، وأعيش على أمل أن يأتي يوم وأنجح فيه في كتابة جملة مماثلة تحمل من السحر اللغوي وخيال المعنى ما يدفع آخرين إلى أن يصرخوا "عملتها ازاي دي بنت اللذينة"!

# أستاذتي بين ضمير الغائب في النحو والحاضر في زمن

دعاء سمير

- ١ -

الاثنان عربيان من نفس الدولة ومن نفس المحافظة. التقيا في أجواء العمل المنمقة الرتيبة والمتكلفة. تبادلا حوارًا شخصيًا متعجلا بالغة الانجليزية، فشعرتُ بالاستفزاز. سألتُ الطرفَ الذي أعرفه: لما تحادثينه بالإنجليزية وأنتِ عربية ومصرية وهو كذلك؟ قالت بعد قليل من الحيرة: هو الذي بدأ!! كنت سأقولُ لها مَن يفعل ذلك معي -وقد حدث- أردّ عليه بالعربية، لكن جعلتني لا مبالاتُها أبتر الاسترسال.

- ٢ -

ذهبتُ لمركز للفحص طبي. لم يكمل الطبيبُ دقيقتين رغم أنه كان مطلوبًا فحص مكانين. سجلتُ اعتراضي وتم تصعيد الأمر حتى مدير المركز الطبيب. يتحدث مثل مَنْ سبقوه من منظور تجاري بحت، مستغفلا إياي ببعض الكلمات الانجليزية. أضطرُ آسفة أن أرد عليه باستخدام كلمات انجليزية غير بسيطة وجمل كاملة. يبدأ في احترامي بينما يزداد ضيقي من نفسي. يسألني مُبتسمًا وقد هدأت

نبرتـه عـن عمـلي، أحـاولُ أن أفكـر في ترجمـة وظيفتـي لكـن ترجمتهـا العربيـة المتوفـرة ركيكـة ومُبهمـة. فأقولهـا كـما هـي بالإنجليزيـة! أغـادرُ المـكانَ وأمـشي مسـافة طويلـة لعـلّي أجـدُ مخرجًـا لضيقـي بينـما أرسـلُ للـه دعـوات كثـيرة ورحـمات (لهـا). كأني أعتـذر.

- ٣ -

تروقُ لي بعض المقتطفات والحكم المصحوبة بصور، لكن تُغضبُني الأخطاء اللغوية والإملائية والنحوية البسيطة والفادحة. كيف يحدث ذلك رغم أن النص المقتطَف منه يعتبر مُراجعَاً لغويًا؟! أحمدُ الله كثيرًا إن كانت الخلفية بلون واحد، فلن يتطلب مني التصحيح عملاً ذا شأن على برنامج تحرير الصور (الفوتوشوب). في اليوم العالمي للغة العربية، تنشر إحدى الصفحات المهتمة بترجمة مقتطفات علمية وطبية ونفسية إن أولئك المهتمون بالتصحيح اللغوي بعفوية لكل خطأ لغوي يرونه لديهم أحد أنواع الوسواس القهري!! أذكرُ أنني كنتُ أقول (مثلها): "يا حبذا". لكنني لا أكاد أقولها الآن من كثرة السخرية التي تعرضتُ لها تعليقًا عليها. لستُ نابغة، إنما أعشق اللغة العربية، وأشعرُ بالأسى حين أرى أمارات الاستهانة بها. وأغضب من نفسي وأشعر بالخزي حتى يقشعر كل بدني إن أخطأتُ فيها حتى لو كنتُ أنا من اكتشف خطأي وليس أحدًا غيري.

أتمنـى لـو كان هنـاك تتبـع مـدوَّن للسـخرية ولـو مزاحًـا ممـن (تتفلـت) مـن ألسـنتهم كلمـة غـير دارجـة في مقابـل تبجيـل مـع مـن يرطـن بلغـة أخـرى. في القامـوس المحيـط: الرَّطانَـةُ، ويُكْـسَرُ: الـكلامُ بالأَعْجَمِيَّـةِ. ورَطَـنَ لـه وراطَنَـه: كَلَّمَـه بهـا. وتراطَنـوا: تَكَلَّمـوا بهـا. ومـا رُطَّيْنـاكَ هـذه؟ بالضـم، وقـد يُخَفَّـفُ، أي: مـا كَلامُـكَ.

- ٤ -

(هي)

بـدأت تحفيظـي بضـع أجـزاء قليلـة مـن القـرآن الكريـم. وكانـت تُعيـدني للمراجعـة، وتحـدد موعـدًا ثانيًـا للتسـميع لأننـي -فقـط- رفعـتُ منصوبًـا، أو نصبـتُ مرفوعًـا. كنـتُ أتضايـق واعترضـتُ مـرة بقـول إننـي لم أخطـأ في التسـميع ولم أنـسَ. فابتسـمت وأخذتنـي تحـت جناحهـا، وشرحـت لي العلاقـة بـين مكونـات اللغـة بتشـبيهات معماريـة بسـيطة منطلقـة مـن "المبنـى والمعنـى". فأنهـتْ الفصـلَ الـذي كان في ذهنـي ذي الأحـد عـشر عامًـا بـين النحـو والمعنـى حتـى اتحـدا. وصرتُ الآن لا يمكننـي القـراءة أو تـلاوة القـرآن الكريـم دون التفكـير في محـل إعـراب بعـض الكلـمات التـي تسـتوقفني وتحتـاج متخصصًـا مثلهـا لإعرابهـا. فقـد كان مـن هواياتهـا أن تُعـرب آيـات مـن القـرآن والسـور الصغـيرة بالكامـل مسـتخدمة أقـلام ملوّنـة.

إلى المـلاكُ النائـمُ هنـاك؛ مَـنْ رسـمت لي حيـوات أخـرى بحواديـت ترويهـا بالفصحـى وكثـير مـن الحـب والأحضـان والألـوان "ويـا حبـذا". مـن أطعمتنـي أسـس النحـو مـع الحواديـت وصـواني الحلـوى، كل عـامٍ وأنـتِ ترين مقعـدك مـن الجنـة، وقـبرك روضـه مـن رياضهـا، يـا معلمتـي المفضلـة والأولى والأخـيرة في اللغـة العربيـة، يـا أمّـي.

# اللغة العربية تنافس حواء في العشق

جرجس نظير – كاتب وشاعر مصري

"إنه يعشق اللغة العربية أكثر من عشقه حواء"

خرجت الكلمات من فمه كأمطار غزيرة على أرض عطشى، فأثملها الثناء وطاب لها التشبيه، وشعرت آنذاك أن اللغة العربية جياشة المشاعر، مرهفة الإحساس، تشعر بمن يهيم بها ويجري وراءها، وتدرك جيدا من يذوب عشقا بهواها، فتبعث رسائل غرام له مع عاشق من عشاقها .

ولا أزعم أن قصة حب اللغة العربية وليدة لحظة، بل إنها تمتد إلى سنوات دراستي المبكرة.

كان الأستاذ حمودة، مدرّس أول اللغة العربية، أول من روى الأرض وهيّأ التربة. كان في الخامسة والعشرين من عمره، كل شيء فيه ينم عن الحيوية والنشاط، حتى نظرته إلى التلاميذ، كانت نظرة الحالم بغد أفضل، عرفنا معه كيف نحبّ اللغة ونتذوق جمالها!

كان يجري مسابقة صباح كل سبت في قواعد اللغة العربية، يقسّمنا مجموعات، ويعطي كل مجموعة فقرات من كتاب القراءة والنصوص للإعراب، إن أخطأنا أصلح في ظرف وأدب ورقة وتلطّف، وإن أفلحنا نلنا الجوائز القيّمة. ترك في وجداننا أثرا لا يُمحى، ما زال

الحديث عن هذا الأمر شائقا لا يُمل ، فمنه تعلّمنا معنى التنافس الشريف والتشجيع المثمر، لقد رفعنا أمتارا فوق أرض دراستنا .

أذكر أيضًا معلّم اللغة العربية في المرحلة الثانوية، أستاذنا الذي حباه الله حسا جماليا رائعا ولا سيّما في الشعر العربي، كان دائما ما يردد على مسامعنا عبارته المشهورة "ذوقوا اللغة العربية في الشعر ما أطيبها!"

وكان يغنّي لنا القصائد بلحن جميل، تبتكره موهبته الفذة. ومن منا ينكر مزايا التعبير الشعري في اللغة العربية فهي لغة مقبولة في السمع، يستريح إليها السامع، ويتلاقى فيها تعبير الحقيقة وتعبير المجاز على نحو لا يعهد له نظير في سائر اللغات كما قال مفكرنا الراحل عباس العقاد.

فالقصيدة الشعرية ليست تسلية، الأمر أكبر من هذا بكثير!

أحببتُ هذا الجمال اللغوي والشعري، ولم أكن أدرك وقتئذ أن هذا ما أكده الفيلسوف الإنجليزي روبين جورج الذي قال "تذوق الشعر وفهم لغته شرطان أساسيان لنمو الإنسان الناضج الذي يستطيع أن يستخدم عقله في استيعاب الظروف المحيطة، فالشعر ليس مجرّد هروب أو تسلية، بل وسيلة لمحافظة الإنسان على توازنه الانفعالي والفكري".

فالمجد لكم أيها العلماء، أيها الباحثون، أيها المعلمون، أيها الدارسون، يا من تبذلون الجهد في تثقيف وتعليم غيركم لغتنا العربية .

# الأستاذ إبراهيم شخلول وسارق البصل

سامية بكري – صحفية وروائية مصرية

بـدأت علاقتـي باللغـة العربيـة مبكـرا قبـل الالتحـاق بالمدرسـة وكان أبي قـد عهـد بي وبأخـي الأصغـر إلى فتـاة جامعيـة مـن جيراننـا تـدرس بكليـة التربيـة قسـم لغـة عربيـة، كي تـدرس لنـا مبـادئ الكتابـة والحسـاب.

مـا زلـت أذكـر أبلـة رسـمية ونحـن نجـري إلى منزلهـا لتعلّمنـا كتابـة الحـروف والكلـمات ونطقهـا، وننتظـر أبانـا بفـارغ الصـبر لـكي نسـمعه مـا تعلمنـا، فيفـرح بنـا ويربّـت أكتافنـا مشـجعا.

في المرحلـة الابتدائيـة كان أسـتاذ اللغـة العربيـة يدعـى إبراهيـم شـخلول، عـن طريقـه عرفـت معنـى تعبـير بليـغ، فحـين كنـت أكتـب جملـة تعجبـه كان يـدور بهـا عـلى كل المدرسـين ليريهـم مـا كتبـت، كل مـدرسي اللغـة العربيـة كانـوا يدرسـون الديـن الاسـلامي، أمـا هـو فقـد كان يـدرس الديـن المسـيحي لزملائنـا المسـيحيين، أورثنـي اهتمامـه بتفوقـي شـعورا بالذنـب فيـما بعـد فقـد كنـت ألجـأ إليـه في كل صغـيرة وكبـيرة تخـص المدرسـة، حتـى إنـه كان يـضرب أي بنـت أشـكوها لـه.

حـدث أن تشـاجرت مـع زميلتـي سوسـن التـي صـارت مهندسـة فيـما بعـد وشـكوتها لـه، فضربهـا بالمسـطرة عـلى يديهـا، لم أكـن أريـد ذلـك أو أتوقعـه، فقـط كنـت أريـده أن يجعلهـا تتوقـف عـن "التغليـس"

عليّ، مستعينة بأختها الأكبر خلال رحلة عودتنا إلى البيت، بالمناسبة صارت سوسن فيما بعد أعز صديقاتي.

كان لأستاذ إبراهيم أيضا الفضل في اكتشاف ميولي الأدبية، فقد طلب منا ذات يوم أن نقرأ قصة ونحكيها له، معظم الزملاء لم يقرأوا ومن قرأ لم يستطع أن يعبّر عما قرأه، أما أنا فأبدعت في حكي قصة سارق البصل بل وخرجت منها بحكم ومواعظ لا أذكر أيا منها الآن، بل ربما كانت رؤيتي تختلف لو قرأتها اليوم، فذلك الشرطي لم يستطع أن يمسك كبار اللصوص فيما "تشطّر" على سارق بصل غلبان وحكم عليه بأكل البصل الذي سرقه كله!

أتذكر تلك القصة وأضحك ساخرة وأنا أحكي لابني عن كبار رجال الأعمال الذين اشتروا متر الأرض بربع جنيه، ليقيموا فوقه المدن فاخرة الإسكان، ويكسبوا الملايين، ماذا لو قابلهم هذا الشرطي؟ هل يفرض عليهم أكل الأرض والمباني التي فوقها، عقابا لهم على السرقة؟

أستاذ إبراهيم الذي كان صعيديا يشبه يوسف شاهين في فيلم باب الحديد، كان أيضا صاحب فضل عليّ لم أستطع ردّه، فقد اقترح علي أن أتقدم بأوراقي لدراسة السن السادسة الابتدائية منازل مع دراستي للسنة الخامسة، وهي الطريقة التي كانوا يسمونها "النط"، أي إدماج سنتين دراسيتين معا لتوفير سنة على الطالب، وافقت أمي ورحّبت بذلك وكان عاما دراسيا ممتعا بالنسبة لي، حيث انتهيت من امتحانات الصف الخامس وانضممت إلى زملائي بالصف السادس وامتحنت معهم.

في المرحلة الإعدادية لم أجد من يسد الفراغ الذي تركه في عقلي، فقد تواترت علينا مدرسات متجهمات غير عابئات بما نكتب أو نقول، وحين أصبحت في الثانوية العامة عرفت أستاذ عبدالله، الذي شجّعني كثيرا حتى إني كنت أناقشه أحيانا في صحة تطبيقه لقواعد اللغة.

وبعده لا أنسى أستاذ صبري الذي ساندني وشجعني حتى حصلت على ٥٨ من ٦٠ في الثانوية العامة، وكانت تعدّ وقتها أعلى درجة يمكن أن يحصل عليها طالب ثانوية عامة، والتقطت لنا الصحف صورا معا بعد أن جاء ترتيبي السادس على الثانوية العامة على مستوى الجمهورية.

ربما لولا أستاذ إبراهيم شخلول شحاتة، وتشجيعه لي، لما أحببت الكلمة أو أصبحت كاتبة، ولولا صبر أستاذ عبدالله عليّ، لما تعلّمت الكثير عن النحو والصرف، ولولا إيمان الأستاذ صبري بقدراتي لما واصلت التفوق في مادة اللغة العربية.

كثيرا ما قابلت أحدهم في الشارع، فأستوقفه كي أسلّم عليه، وأحكي له عن دراستي الجامعية ثم عملي، وبالمصادفة اكتشفت أن ابنة أستاذ صبري هي مدرّبتي في صالة الألعاب الرياضية في النادي، وقريبا أذهب معها لزيارته، متعه الله بالصحة والعمر.

# ارقد في سلام يا جدى

دينا ماهر – كاتبة وشاعرة مصرية

كنا نعلم في بيتنا أن جدى لأمى "محمد صالح سراج الدين" كان موجهًا لمادة اللغة العربية، كانت أمي تحكى لي عن أبيها وغضبه العارم، إذا أخطأ أحد من أولاده في النحو والصرف، أو في النطق السليم، لم أر جدى لأنه توفى قبل أن أتم عامي الأول، لكن ظلت صورته المعلقة في غرفة أمي حاضرة في ذهني.

كنت أُريه شهاداتي الدراسية وتفوقي في مادة اللغة العربية، وأتخيل أن الصورة تبتسم لي، حين كانت تختارني المعلمة، لأقرأ موضوع الإنشا أمام التلاميذ، كنت أتخيل جدى يقف أمامي ببذلته الرمادية الأنيقة يستمع لي، فأتغلب على خوفي وتوتري من الأعداد الكبيرة.

درست بمدرسة إسلامية تضع الدين الإسلامي واللغة العربية ضمن أولوياتها، أحببت اللغة العربية منذ الصغر، شاء القدر أن تصبح كل معلمات اللغة العربية من أكثر المعلمات لطفًا على الإطلاق.

أتذكرهن واحدة واحدة، لكن إذا قررت أن أختار إحداهن لأكتب عنها اليوم فهي "ميس هبة" بالتأكيد كانت "ميس هبة" تشبه الممثلة الشابة في التسعينيات "جيهان نصر" لكن ذلك كان أمرًا جانبيًا مقارنة بقدرتها على إيصال المعلومة، وإتقانها للغة العربية وشغفها وهي تتحدث عن الشعر العربي.

كانت تحب القصائد التي تغنيها أم كلثوم، وهي أول من نبهني أن أم كلثوم ارتكبت خطأ فادحا في قصيدة "أراك عصى الدمع" لأبي فراس الحمداني، حين استبدلت بلى بنعم للرد على سؤال منفي، فنعم كرد على سؤال منفي تعني لا، وبلى تعني نعم.

كان من ضمن مقررات المدرسة في المرحلة الابتدائية أن ندرس تفسير القرآن الكريم، ونظرًا لاهتمامي الشديد بالقواعد النحوية للغة، قرر ناظر المدرسة أن يعطيني دروسًا في النحو والصرف، فكنت أعرب الآيات، في أحد المرات سألت "ميس هبة" عن إعراب كلمة في أحد الآيات في قوله تعالى : ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عبادي الشَّكُورُ﴾.

سألتها لماذا محاريب ليست مكسورة بالكسرة رغم أنها اسم مجرور؟ قرأت معلمتي الآية مرات ثم أخبرتني أن أنتظر للغد؛ كي تحصل على جواب سليم، فهي لا تعرف القاعدة.

أصبت بالإحباط نظرًا لشعوري الدائم أن "ميس هبة" معلمة اللغة العربية تعرف كل كبيرة وصغيرة في اللغة، لكنني أدركت يومها أن لا أحد فوق اللغة، وتعلمت أيضًا أنه ليس عيبًا أو نقصا أن أعترف

بجهلي بأمر ما، لكن العيب أن أدعى العلم.

جاءت المعلمة في اليوم التالي، لتشرح لي قاعدة الممنوع من الصرف، وأن محاريب وتماثيل على وزن مفاعيل، وكل ما هو على وزن مفاعيل ممنوع من الصرف، وبهذا يصبح إعراب محاريب اسم مجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف.

ذهبت يومها للبيت أبشر أمي بمعرفة قاعدة جديدة، وأخبر صورة جدى المعلقة أننى رغم صغر سني، وبالرغم من أن وزارة التربية والتعليم لا تطلب منى سوى معرفة المبتدأ والخبر في هذه السن الصغيرة، إلا أننى أعرف ما هو أكثر.

في أحد الأيام رأت أمي "ميس هبة لتخبرها "الميس" أنها طالما أرادت أن تراها، لتشكرها على تربيتي ونجاحي الدراسي.

دُهشت أمي وظنت في بداية الأمر أن "ميس هبة" تسخر منها، فأمي كانت تعلم أننى منذ صغرى كارهة للنظام الصارم والمذاكرة، ومنذ ذلك اليوم وأمي تخبرني أن جدى كان سيفخر بي حتمًا، حين يعلم أن إحدى حفيداته تحب اللغة العربية كل هذا الحب، أكبر وتلتصق كل نجاحاتي باللغة العربية فأشعر بصورة جدى تبتسم لي بين حين وآخر.

أدهش حين أجد أطفال عائلتي لا يحبون اللغة العربية ويشعرون بصعوبتها ويفضلون اللغات الأخرى، فأحزن وأتخيل جدى يحزن في قبره، لكن ارقد في سلام يا جدى فأنا أعدك لو أنجبت أطفالًا سأجعلهم يحبون اللغة العربية.

# معلمي الفلسطيني
# علمت حقًا أن «الحماقة أعيت من يداويها»

كرستينا عياد – صحفية مصرية

«جميلة، نظيفة، متطورة».

الجملة الأكثر شهرة داخل المدارس المصرية، والتي لا تمحى من ذاكرة أي منّا مهما كبر أو حصل على شهادات، سنوات كثيرة تأتي على مخيلتك كشريط سينمائي يعرض أمامك، حين تسأل عن ذكريات طفولتك، هذه المرة الحديث عن معلمي اللغة العربية الأكثر تأثيرًا..

أتذكره ببنيته الضخمة، ولحيته المتوسطة، وخفّة ظله، خصوصا حين كان يردد مقولة المتنبي «لكل داء دواءٌ يستطاب به.. إلا الحماقة أعيت من يداويها» في إشارة منه لمن لم يحضّر واجبه المدرسي. إنه أستاذ محمد عيد مدرس اللغة العربية للصف الرابع الابتدائي، فلسطيني الجنسية، مصري الطبع جدًا.

وجد ضالته في التدريس بمصر في فترة التسعينيات، للحق لم أكن أعلم حينها أنها مقولة المتنبي، كان كل همي ألا تقال لي.

قبل موعد الفسحة المعتادة، قابلته في طريقي إلى الفناء، عابس الوجه، قال فجأة: «درجات الامتحان ظهرت وإنتي أسوأ الجميع»، لم أتناول شيئًا من طعامي وظللت أبكي، متسائلة كيف ولماذا؟ ثم

أعـاود بـكائي، إلى أن انتهـت الفسـحة، وهـا سـتبدأ حصتـه، لم أتمالـك نفـسي، ثـم كانـت المفاجـأة حـين رأيتـه يبتسـم لي، ويُعلمنـي أني حصلـت عـلى الدرجـات النهائيـة في امتحـان اللغـة العربيـة، لهـذا الشـهر!

لا أنكـر كيـف أسـهم في محبتـي لهـذه اللغـة بخفـة ظلـه، رحمـك اللـه يـا معلمـي، حزنـت كثـيرًا عـلى فقدانـك لكـن لا تقلـق عـلى قـدر بـراءة طفولتـي حينهـا، عـلى قـدر غفـراني لمـا فعلتـه بي مـن بـكاء مسـتمر، فـما زلـت كـما كنـت تلقبنـي بـ«سوسـة»!

*****

«كريسـتي» هكـذا كان يناديـني، وهـو أول مـن أخـبرني معنـى اسـمي، فلـم أكـن أعلمـه حـين كنـت في المرحلـة الإعداديـة، ذاك الرجـل الثلاثينـي صاحـب الملامـح الصعيديـة الـذي كان يفضـل الإمضـاء باسـم مسـتعار «أندلـسي»، لـه الفضـل في معرفتـي بحضـارة بـلاد الأندلـس العظيمـة، لم يكـن يبخـل عـلى أحـد بتعلـم الخـط العـربي، كان يحثّنـا دائمًـا عـلى ذلـك، إضافـة للنحـو، والبلاغـة، متحدثًـا بالأشـعار تـارة للتحفيـز وأخـرى للتخويـف.

ثـم أبلغنـا قائـلًا: «سـوق الخضـار هـو أكـثر الأماكـن ممارسـة للبلاغـة مـن تشـبيه واسـتعارة مكنيـة، وغيرهـا مـن الصيـغ المختلفـة للبلاغـة»، ضحـك الجميـع، واسـتطرد معلمـي العجـوز، في شرح الـدروس بهـذه الأمثلـة، حقًـا لم تذهـب هـذه الكلـمات يومًـا عـن ذاكـرتي، كان يجيـد شرح حتـى أصعـب القواعـد، بأبسـط الطـرق، أتذكـر حـين هاتفتـه لأخـبره بدرجـات امتحـان اللغـة العربيـة في المرحلـة الأولى للثانويـة العامـة بإجـمالي ٢٩,٥ درجـة مـن ٣٠، حـين قـال: «أبـوكي مـا دبحـش عجـل؟»

نعـم كنـت محظوظـة بمعلّمـي اللغـة العربيـة في أغلـب مراحـل التعليـم، لم يكـن أسـوأهم سـوى ذاك الرجـل الـذي لم تعـد لي قـدرة عـلى تذكّـره، كان منتدبـا مـن كليـة دار علـوم للتدريـس بكليـة الإعـلام، ومـرة أراد إلغـاء درجـاتي لمجـرد أني سـألت عـن الفـرق بـين كلمـة أُمّـي كأن يقـال (فـلان أمـي أي جاهـل)، وبـين أممـي (مـن الأمـم) ولم يكـن يعـرف الإجابـة، فأدركـت حينهـا كيـف كان لـه نصيـب الأسـد مـن مقولـة المتنبـي: « لـكل داء دواءٌ يسـتطاب بـه.. إلا الحماقـة أعيـت مـن يداويهـا» لكـن لعلـه قـد تـداوى الآن!

# مدرسو اللغة العربية والأدب العربي .. أحبابي

إبراهيم عادل – صحفي مصري

أكثر ما أردده حينما يسألني صديق عن التحاقي بكلية "الآداب" قسم "اللغة العربية" أني اكتشفت منذ فترة مبكرة أني أحب الأدب العربي، ولحب الأدب في نفسي حكاية قديمة ذات فصول عديدة أتذكر بعضًا منها ويسقط من ذاكرتي البعض الآخر.

ولكن أهم ما أذكره أن ثمة معلمين كان همهم الأول أن يبثوا في نفوسنا "حب العربية" منذ نشأتنا الأولى، أذكر تحديدًا في المرحلة "الإعدادية"، كنّا يومها في "السعودية" وكانت المرحلة الإعدادية تُسمى "المتوسط" ، وانتقلت في تلك المرحلة بين أكثر من مدرسة، وكان الغريب أن مدرسي العربية فيها يجتمعون على محبتها، والاعتداد بها، ربما يرجع ذلك لشعورهم أنها شيءٌ يخصهم، فقد كان المدرسون الوافدون يتخصصون في بقية المواد، أمّا "العربية" فهي حكر على المدرسين السعوديين، وكان الأدب العربي محط اهتمامهم بالطبع، بل أذكر أن أحد المدرسين في "متوسطة عيون الجواء" أعجبه إلقائي الشعر في الإذاعة المدرسية، فقرر أن يقدمني إلى المسابقة التي تنظمها المحافظة وكنت "المصري" الوحيد بينهم، يومها حفظت قصيدة "أبو البقاء الرندي" ( في رثاء الأندلس) ولازلت أحتفظ في ذاكرتي بأبياتٍ منها .. تلك التي تقول:

لكل شيءٍ إذا ما تم نقصان .. فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دولٌ .. من سرّه زمنٌ ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقى على أحدٍ .. ولا يدوم على حالٍ لها شان.

لم تكن مسابقة المدرسة والإذاعة المدرسية وحدهما ما شجعني على الاهتمام باللغة العربية والأدب معًا، بل كان أستاذي في المرحلة المتوسطة تلك، يعلم شغفي بالذهاب للمكتبة في "الفسحة" وتأخري هناك وحيدًا، وحينما أعود متأخرًا لا يسمح لأحدٍ بالدخول إلا إذا أكمل بيتًا يبدؤه هو، فيقول مثلاً:

أبني إن البر شيءٌ هينٌ.. من يكمل؟ وكنت أكمل البيت (وجه طليقٌ وكلام لينُ) لأني أكون قد سمعته منه مرة أو مرتين في أحد الدروس، وكانوا يولون اهتمامًا شديدًا بأبيات "الحكمة" التي يسهل حفظها وترديدها، حتى إني أذكر أن مدرسة أخرى التحقت بها لمدة نصف عام فقط، كان معلم العربية فيها يتباهى بأن تلاميذه يحفظون أبياتًا كثيرة من الشعر، وكنت أحاول أن أكون مثلهم فأقضي شطرًا من النهار في مكتبة المدرسة قارئًا لمختارات شعرية من كتب تراثية عديدة "كالأغاني" و"سير أعلام النبلاء" وغيرها ..

كل هذا وأكثر جعلني شغوفًا باللغة العربية، وعالمها الثري الجميل، ولاشك أصبح يتردد أمامنا كثيرًا قول حافظ إبراهيم رحمه الله ـ

أنـا البحـر في أحشـائه الـدر كامـنٌ .. فهـل سـاءلوا الغـواص عـن صدفـاتي؟!

دخلـت كليـة الآداب، حاملاً مـا ورثتـه عـن مـدرسي اللغـة العربيـة في المرحلتـين الإعداديـة والثانويـة، وهنـاك تعرفـت عـلى أسـاتذة عظـام بحـق، جعلونـا نـدور حـول المعـاني والكلـمات، ونحـاول أن نبحـث دومًـا عـمّا يجعـل الأدب أدبًـا، فـكان منهـم أسـتاذنا الناقـد الكبـير الفاضـل "سـيد البحـراوي" الـذي لازلـت أذكـر دراسـته العظيمـة (في البحـث عـن لؤلـؤة المسـتحيل) لقـراءة ونقـد قصيـدة "أمـل دنقـل" "مقابلـة خاصـة مـع ابـن نـوح"، والتـي كانـت مرشـدًا لنـا لقـراءة الشـعر قـراءة مختلفـة وجـادة، وكذلـك أسـتاذي الناقـد الجميـل "سـامي سـليمان" ومحاولاتـه الـدؤوب لجعلنـا نفكـر أثنـاء القـراءة وكيـف نسـتنبط مقاصـد الكتابـة وطرقهـا الجماليـة التـي تشـكل عالمًـا أدبيًـا خاصًـا وفريـدًا ..

# سلامٌ على إبراهيم

تامر عبد الحميد – سيناريست ومخرج مصري

فصلان بدأت بينهما قصتي مع اللغة، خريف.. وربيع

ليسا فصلين من فصول العام، بل هما الفصل الثالث والرابع الابتدائي، وما "خريف" و"ربيع" إلا مدرسان سودانيان تناوبا تدريسنا اللغة العربية، كنت حينها طالبا في "الرياض" عاصمة الدولة السعودية، وكانت مدرستي الحكومية تسمى "تحفيظ القرآن الكريم"، وهكذا، شربت اللغة وقواعدها وبلاغتها من معينها الأم وقاموسها الأشمل وناموسها الأكبر.

سقاني الأستاذ "خريف" قطرات النحو الأولى، وعدَّل لساني ليسير على صراط اللغة القويم، ثم رأى فيَّ الأستاذ "ربيع" نموذجا للطالب النابغ، ولم يدهش عندما نظمت أولى أبياتي وأنا في الصف الرابع الابتدائي، كان يحلو له أن يلقبني بـ "مصيبة من مصائب الزمن"، شارحا لي أن المصيبة هي المكروه يحل بالمرء، وأن الزمان زمان جهل، وما من مكروه يصيب الجهل سوى نور العلم وألق الموهبة، ولذا؛ فأنا المصيبة تحل بهذا الزمن الرديء.

رغم مقامي بالسعودية، إلا إن نافذة فُتحت في الأفق أمامي رأيت خلالها عالما من الفنون يدعوني لأقتحمه، وأدركت حينها أن الفن هو مآلي، والخيال هو الرفيق المخلص.

ارتديت ثقتي بموهبتي وانطلقت أكتب القصائد، وحين انتقلت مع أسرتي من الرياض للمدينة المنورة في المرحلة الإعدادية، لازمتني عباءة الثقة، وكلما نَمَوْت اتسعت وازدانت، حتى أتى الأستاذ "إبراهيم شعث"، ذلك المدرس الأردني شديد الشبه بأبي، والذي خلع عني عباءة الشعر، وأعادها لي حلة من إستبرق.

أهداني الأستاذ إبراهيم كتابا عن عروض الشعر التي لم أتقن حفظها حتى اليوم، وكنت كلما كتبت موضوع تعبير طلب مني أن أذهب لمدير المرسة لأقرأه له، إذ إنني انتهجت نهجا خاصا بي، وهو أن أكتب المواضيع كمقامات القرن الرابع الهجري، وأثار ذلك إعجاب الأستاذ إبراهيم، قبل أن يثار غضبه فيما بعد.

كنت قد انتهجت نهجا آخر في كتابة مواضيع التعبير في اختبارات نصف العام وآخره، وهي أن أنظم بعض الأبيات عن الموضوع، فكانت ورقة إجابتي تعرف حتى وإن نزعوا عنها اسمي.

أتى موضوع التعبير في اختبار نهاية الصف الثالث الإعدادي - أو المتوسط كما يدعى في السعودية - عن أهوال يوم القيامة، ثم جاءني الأستاذ إبراهيم في بداية العام التالي، وقال لي: "إن ظللت تكتب الشعر وأنت مهموم بالتشبيه والقافية فلن تصبح شاعرا، فالبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال"، وانطلق يناقشني في بيت شعر كنت قد نظمته في الاختبار أحاول فيه إعادة صياغة حديث [تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق، حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى

كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمهم العرق إلجاما]، وبحثت عن مثال لسائل تتوزع فيه الأشياء بلا نظام، فمنها ما ينغمس منه جزء ومنها ما يغرق بأكمله، ثم حدث أن لمعت في رأسي صورة لم أراجعها، فانطلقت أكتب:

والناس في العرق كاللحم في المرق

أرادني الأستاذ إبراهيم شاعرا، ولكنني خذلته، مازلت أكتب الشعر، ولكنني لم أجرؤ أن ألقب نفسي بالشاعر، وظللت مخلصا للكتابة، حتى بعد أن تعرضت لصدمتي الأولى في المرحلة الثانوية، عندما رفض مدرس آخر - لا أذكر اسمه، تماما كما يُسقط التاريخ من ذاكرته أنصاف الجبابرة - قصةً كنت قد تقدمت بها لمسابقة المدارس الثانوية، زاعما أنه على يقين أنني لست بالكاتب الحقيقي، وأنني سرقتها من مكان ما لكاتب شهير لا يعرفه، ولكنه يعرف أن تلميذا في عامه الخامس عشر لن يكتب نصا كهذا يتشظى فيه السرد وتتداخل الأزمنة، كنا في بداية التسعينات وكنت في نهاية الطفولة، وأعرف ما أريده الآن من عالم الفن أكثر من سواه.. إنها الكتابة.

تمددت الأحلام، واقتحمتُ تلك النافذة التي أُشرعت لي طفلا، وظللت طفلا يتنازعه التمثيل والإخراج والمسرح والسينما والمسلسلات والأفلام، ولكن وحدها الدراما ظلت البستان الأوسع والجامع لكل ما سبق، بستان تنمو عجائبه من نبع الكتابة، وكتابة تنشأ من رحم لغة نُفخت فيها الروح فتَشارَكْنا الحياة، وكلما وُلِدت لنا فكرة، راحت تُقرئ السلام لإبراهيم الذي وفَّى، ولربيعٍ وخريفٍ منحاها ألوانها الأولى.

# يا سماسم

سامية أبو زيد – كاتبة وروائية مصرية

وكأن اللغة العربية هي التي اختارتني كي تكون مادتي المفضلة على طول مراحل تعليمي، بدءا من ميسز زينب -أستاذة اللغة العربية في الصف الثالث الابتدائي- التي لاحظت تفوقي فيها فكانت تدعوني للقراءة في حصة المطالعة مدللة إياي بقولها: "يا سماسم"، فأدس وجهى خجلا في كتف زميلتي لأقف بعد هنيهة وأقرأ بصوت عال وقد انتصرت عليه.

لم أكن يوما الأولى على الصف ولا الثانية ولا الثالثة، فقد احتكرت بهيرة المركز الأول على طول الدوام بلا منازع وتقاسمت كل من سوزان وإيمان المركزين الثاني والثالث، ولم آبه بذلك فقد بقيت لي لغتي الحبيبة لا ينازعني فيها أحد، ولم أسمح لأى منهن بتجاوزي، فكنت أغار على مادة اللغة العربية وأعتبرها مضماري وساحتي ومادة تفوقي.

وفى المرحلة الإعدادية، أسرتني عبارة الأستاذ محمد "منهومان لا يشبعان، طالب علم وطالب مال"، فكنت أفرح بكل مفردة جديدة وأتحين الفرصة للزج بها في موضوع التعبير.

أما في المرحلة الثانوية فكانت الأستاذة شمس السبب في تعلقي بمادة النحو على الرغم ما كان يشاع عنها من ضعف مستواها العلمي، ولكنني أحببت النحو وفهمته منها ليصبح مصدرا مضمونا للدرجات في الامتحان، إلى أن وأجهتني عقبة كئود وهى مادة البلاغة، عندئذ شعرت بخطر السقوط عن العرش، فعكفت عليها بمعونة أبلة شمس حتى أتقنتها لأظل أولى قريناتي في مادة اللغة العربية، والمدهش أننى حصلت على المركز الأول في الثانوية العامة في القسم العلمي الرياضي في مدرستنا بفضل مجموعة اللغات الثلاث.. العربية والإنجليزية والفرنسية!

وها قد مرت السنوات فهجرت تخصصي العلمي وعدت إلى الأدب.

# «بحر بن بحر الجاحظ».. ولا ترض بما دون النجوم

نهى سعداوي – كاتبة تونسية

حكاياتي مع معلّمي اللغة العربية بدأت من الصف الرابع الابتدائي، ولن تنقطع، طبعا. أحفظ أسماءهم وأذكر ملامحهم بدقّة. ولعلّ ما يجعلها حكايات مختلفة أنّني من محبّي المادة ومن المتميّزين فيها، حتّى أنّي أفكّر أحيانا: "لو كنت اخترت آداب في الثانوي بدل العلوم وواصلت في اختصاص لغة وآداب عربيّة في الجامعة، أفضل." وربّما لو وجدت سبيلا، سأعود لدراسة العربية كتخصّص ثاني. من يدري؟

الأمر بدأ مع "القدر العجيبة" و"آنستي منيرة". كانت معلّمة مميّزة جدا ببشرتها البيضاء وشعرها المائل للحمرة، هذه التركيبة التي لم تعدها عيون طفلة ريفية أغلب من حولها لوّحت بشرتهم الشمس. أصابع يديها التي تعاني من إعاقة لم تمنعها من إمساك أصابع الطباشير والكتابة كأجمل ما يكون بل واستعمال العصا معنا إذا ما استوجب الأمر. و"القدر العجيبة"، أوّل قصّة كتبتها وأخرجتها ورسمت صورها ووضعت اسمي على غلافها وحدّدت لها ثمنا أيضا. كتبتها على أوراق اقتطعتها من كرّاس الرسم وسطرتها بقلم الرصاص. ثمّ جمّعت أوراقها بالإبرة والخيط لتكون أقرب ما يكون للقصص التي نشتريها.

كلّفتنا "آنستي منيرة" بذلك، وأنجزت بكلّ شغف وبحرص بالغ على الفواصل والنقاط والظفرين والنقطتين، غرسته هي فيّ ولا يزال يلازمني لليوم. عرفت بعد زمن أنها قالت لأبي:"إذا وجدت ابنتك رعاية سيكون لها شأن في الكتابة." لم أتوقّف عن كتابة القصص ولا أزال أعدني بشأن بالكتابة. منيرة ثابت، معلّمة العربية التي زرعت أملا أقتات عليه.

"كيشو"، أكتبها بخجل كبير. فهذا اللقب أو الكنية التي يطلقها تلاميذ الإعداديّة على أستاذ اللغة العربية الذي درّسنا في الصف السابع والثامن أيضا. كنّا في أسبوع التعارف الأوّل، طلبة صغارا حديثي عهد بالإعدادي، حفّظنا الطلبة الأقدم هذا الاسم، والحقيقة أنّ "كمال دريرة" كان اسم الأستاذ. وقد استنبطوا كنيته من أوّل حرف في اسمه وعيب في النطق ناتج عن غياب أسنانه الأربعة السفلى فقد كان كبير السن. حين يقرأ ينزلق لسانه في الفراغ في صفّ أسنانه فتحدث "كشكشة" ويتناثر ريقه وإذا كان قريبا من طاولتك سينتشر على كتبك حتما. وكأغلب النجباء كنت أجلس في أول صفّ الطاولات قريبة دائما من مكتبه وهكذا نابني من "تفتفته" الكثير، لكنّي لم أهتم أبدا. كنت أحرص فقط على أن أكون أوّل من يواصل قراءة النص بعد أن ينهي الفقرة الأولى منه.

أحرص أيضا على قراءة عملي المنزلي: "التقديم المادي"، "الموضوع"، "الوحدات" وإجابة أسئلته كلّها في كلّ الحصص. أضف إليه، أنّي كنت أتراهن وزملائي على العلامة الكاملة في امتحان النحو

والـصرف. كانـوا يقولـون دائمـا:" سـيمنحك العشريـن وإن لم تحصّليهـا، يحبّـك." وكانـت العشريـن، العلامـة الكاملـة، في الجيـب، دائمـة الحضـور في ورقـة الأعـداد. كـمال دريـرة، الأسـتاذ الـذي علّمنـي أن أراهـن عـليّ.

الأسـتاذة تركيّـة، بـل عاشـت في تركيـا.. لا بـل أصولهـا تركيّـة. لم أوفّـق لليـوم في تحديـد الأمـر، المهـم أنّهـا حدثتنـا عـن شيء مـا يربـط عائلتهـا بتركيـا. "ثريـا عبيـد تمـر"، لا أزال أذكـر شـعرها الكثيـف المنطلـق عـلى كتفيهـا وعيونهـا الواسـعة وحـبّ الشـباب عـلى وجههـا. أسـتاذة شـابة، درّسـتني لسـنتين متتاليتـين في الثانـوي: الأولى والثانيـة. أديـن لهـا بأمـور ثلاثـة: المحاججـة والبحـث والنقـد.

جعلـت حصّـة العربيـة، شرح النصـوص خاصـة، حصّـة نقـاش يحتدم أحيانـا. أذكـر النقاشـات حول شـعر نـزار قباني وأبي القاسـم الشـابي، نصوص الجاحـظ ومقامـات الهمـذاني. أذكـرني "غاطسـة" في الكتـب في المكتبـة العموميـة أقـرأ وأنقـل لإنجـاز البحـث الـذي كلفتنـا بـه. بحـث يسـبق كلّ محـور ندرسـه في الأدب والشـعر، كنـت أصرف لـه وقتـا عـلى حسـاب بقيّـة المـواد. وكان جهـدي يثمـر، والثمـرة إعجابهـا وتقديرها لعمـلي وعرضه على زملائهـا في قاعـة الأسـاتذة واحتفاظها ببعضـه حينهـا. الكلفـة معهـا شـبه مرفوعـة، كونهـا قريبـة منا في السـن، عشرينية ونحن مقبلـون على العشرين بـكلّ الطاقـة. كثـيرا ما تحدّيـت ما تلزمنا به من قواعد خاصّة في قسـم النقد مـن امتحـان "المقـال". كتبـت أنّ طه حسـين ممـلّ ورتيبة كتابتـه. كتبت أنّ نـزار "نسـونجي"، لكنّـي لا أنـسى إعجابهـا حـين كتبـت عن الجاحـظ: "بحر بـن بحـر هـذا عظيم" ولا أنـسى على وجه الخصـوص ما كتبتـه لي في "كرّاس الذكريـات":" لا تـرضِ بمـا دون النجـوم!". ثريـا تمر، الأسـتاذة التـي خاطبت الأنثـى في داخـلي وعلمتني أن أشـمخ.

أنيـق، أنيـق جـدا وهـادئ.. هـادئ جـدا: سي ناجـح عبـد الهـادي. الشـخصية المناسـبة تمامـا لتدريـس شـعر الغـزل. حـين أذكـره تحـضرني حصريـا الحصـص التـي درسـنا فيهـا قصائـد نـزار قبـاني. في نهايـة كلّ حصـة يسـألنا ذات السـؤال:" مـا رأيكـم في القصيـدة؟" فيصمـت الجميـع. لا أحـد يكـترث أصـلا، فنحـن "سـنة ثالثـة علـوم تجريبيـة، مـا لنـا والعربيـة".

غـير أنّي لا أنفـك في كلّ حصـة أرفـع إصبعـي فيعطينـي الكلمـة لأقـول في كلّ مـرة ذات الـشيء: "القصيـدة جميلـة طبعـا". يمنحنـي شرف اختتـام الحصـة بهـذا لكنّـه يزعجنـي جـدا في بدايتهـا إذ يهمـل إصبعـي المرفـوع طلبـا لـلإذن بقـراءة جـزء مـن القصيـدة. يغيظنـي إذ يقـرأ هـو كلّ الأبيـات، وأنـا التـي أرغـب في القـراءة بشـدّة، كطالبـة اختصاصهـا العلـوم تجـد في حصـة العربيـة الوحيـدة متنفسـا. كظمـت غيظـي طويـلا لكنّـي يـوم درسـنا قصيـدة "القصيـدة البحريـة" لنـزار قبـاني، انفجـرت. فـما أن أنهـى قولـه: " لـو أني، لـو أني بحـار.. لـو أحـدٌ يمنحنـي زورق.. أرسـيت قلوعـي كلّ مسـاء"، حتـى اندفعـت مختتمـة القصيـد:" في مرفـأ عينيـك الأزرق" لينفجـر هـو وكلّ الفصـل ضحـكا. سي ناجـح عبـد الهـادي، الأسـتاذ الـذي كان قلبـا وقالبـا متناسـبا مـع صـورة "أسـتاذ اللغـة العربيـة" في ذهنـي، "نـزاري القبـاني" ربّمـا.

# مع مين نتسلى ونتعلم؟ أستاذنا أيمن

نورا ناجي- صحفية وروائية مصرية

لا أعتقد أن أحدا سيتذكر الكرتون الظريف سوى مواليد الثمانينيات من أمثالي "أيمن أستاذنا الظريف"، الذى كان يعرض على التليفزيون المصري في هذا الزمن البعيد الرائق، عرائس ماريونيت تشبه عرائس كارتون عالم سمسم الشهير بعد ذلك.

كتب له الحلقات يعقوب الشارونى الرائع، وكان يقوم بالأداء الصوتي، محمود عامر، الذى لا أزال أتذكر رنّة صوته الرخيمة، وهو يعلّم الأطفال بطريقة مسلية، سابقة لعصرها، بصفته الأستاذ أيمن.

أتذكر التتر الافتتاحي الموسيقى الجميل "مع مين نعرف ونفهم .. أستاذنا أيمن.. مع مين نتسلى ونتعلم.. أستاذنا أيمن".

الأستاذ أيمن في الكارتون كان ساحرا، يصحب تلاميذه عبر السبورة لعوالم أخرى، يتابعون الحيوانات على الطبيعة في الغابة، أو إلى الفضاء أو عالم البحار، كل يوميا يعلّم تلاميذه أشياء جديدة، تماما كما كان يفعل أستاذ آخر يحمل نفس الاسم، أستاذي في الصف الثالث الابتدائي أستاذ "أيمن" مدرس اللغة العربية.

كنت طفلة هادئة في المرحلة الابتدائية "غلبانة" كما يقول الكتاب، غير اجتماعية على الإطلاق، الأمر الذى ربما يكون صادما لمن يعرفوني، بعد أن تحوّلت إلى النقيض تماما اليوم، لكن هذا التحول ربما كان سببه الأول هذا الأستاذ العزيز، الذى بالتأكيد لا يذكر تأثيره في حياة طفلة مسكينة مترددة ترتدى النظارات الطبية الوردية، وتجلس صامتة في ركن منزوٍ.

كنت أتغيّب كثيرا جدا لأسباب لا تعنينا اليوم في شيء، الأمر الذى كان يؤثر بالتأكيد على مستواي الدراسي في عصر لم تكن فيه الدروس الخصوصية أساسية كاليوم، وكانت هناك ميس غادة، معلّمة الدراسات، التي قررت أن تدمر لي ما تبقى من نفسيتي باضطهادها ومعاملتها السيئة، واتهامي الدائم بأنني فاشلة و"بليدة".

على عكسها، كان هناك الأستاذ أيمن، الذى كان يثق في لسبب أو لآخر، يشجعني بشكل دائم، يعهد إليّ بالكتابة على السبورة، وقراءة الدرس بصوت عالٍ، يخبرني أننى أقرأ بشكل سليم جدا، لا أخطئ في نطق الحروف والكلمات، كان خطى سيئا لكنه كان يخبرني بأنه جميل، كان يقرأ مواضيع التعبير التي أكتبها بصوت عال، ويقول أفضل موضوع تعبير اليوم، يضع له علامة ١٠/١٠ وبجوارها نجمة، كنتُ نجمة في حصة اللغة العربية، رغم أننى كنتُ ثقبا أسود في باقي الحصص!

كان الأستاذ أيمن يشجعني على القراءة، ويحضر لي مجلات ميكي وماجد، يقول ستصبحين يوما صحفية أو كاتبة، أسلوبك جميل في هذه السن، لا أعرف ما الذى رآه في، يبدو أنه كان ملاكي الحارس، فعلا، أو الملاك الحارس للفصل كله، الأطفال كلهم كانوا يحبونه، رغم تلويحه بالعصا الخضراء القصيرة التي كان يحملها دوما.

يسأل أستاذ أيمن، من نسى عمل الواجب اليوم؟ أخرج منكّسة الرأس، أقف في صف المذنبين الذين يتلقون عقابهم بضربة خفيفة على اليد، لم تهمني الضربات قدر حزني لأنني خيبت ظنه في، ينظر لي بدهشة ويقول "مش ممكن"، أقول بصوتي الخافت أننى أتممت عمل الواجب فعلا، لكنى نمت بجوار الكتاب على السرير، واستيقظت دون أن أتذكر وضعه في الحقيبة.

يصدقني أستاذ أيمن رغم أننى لم أتوقع هذا. يقول كلمة واحدة: أصدقك، ويتركني دون عقاب، أندهش للحظة وأعود إلى مقعدي، وداخلي شعور أننى مهمة وشاطرة ومميّزة.

أجتهد أكثر في الدراسة رغم كل الظروف، أغرق في حب اللغة العربية، والقراءة، ثم الكتابة بعد ذلك، تماما كما توقع أستاذي.

هؤلاء الأعزاء يرحلون دوما، انتقل أستاذ أيمن من مدرستي بانتهاء العام الدراسي، لكنى لم أنسه أبدا، ما زلت أتذكر زيارته للمدرسة في العام الذى يليه، وكيف اندفع التلاميذ إلى الفناء لتحيته واحتضانه، كان واقفا وسطهم يبتسم، نحيلا، ذا شعر أسود فاحم

وشارب مثل شارب أبي، يحاول احتضانهم جميعا، أما أنا فقد ظللت في مكاني أنظر إليه من بعيد، أخجل إن تقدمت ألا يتذكرني.

أحمل في يدى أول ما كتبته في حياتي، قصصا قصيرة طفولية لم يصدّق أحد أننى من كتبها، ما زلت أذكر عناوينها ورسومات غلاف كل قصة رسمتها بيدي، "سونيا والثعبان- أين اختفت الطعمية؟ - الأمير الأزرق- هالة والغابة المسحورة".

أريد أن أريه القصص، لكنه يرحل سريعا دون أن تسنح لي الفرصة، أكتفى بسعادتي لرؤيته، وإصراري على تحقيق ما رآه في، في عقلي تتردد أغنية الكارتون التي ما زلت أحفظها عن ظهر قلب "أيمن وحده ومفيش غيره اللي يخلى الحصة جميلة.. أستاذنا أيمن".

# "حمالة بنطلون"
# هدية للفائقين في اللغة العربية!

محمد توفيق – كاتب وصحفي مصري

كانت قرية أبنود في مطلع الأربعينيات بها مدرسة واحدة فقط، وكانت تلك المدرسة عبارة عن غرفة واحدة فقط، ولم يكن بها سنوات دراسية، لكنها كانت إلزامية.

الكل يدرس نفس الشيء، كل أبناء القرية يجلسون في نفس الغرفة، ويتلقُّون نفس التعليم، فقد كانت أشبه بالكتاتيب؛ لذلك لم يذهب إليها "عبد الرحمن" سوى يوم واحد فقط واحد ثم رفض أن يذهب إليها مرة ثانية؛ لأن حنينه إلى الغيط والحقول والبراح كان يجعله يشعر بأنه في سجن -على حد تعبيره- لكنه ما زال يذكر حتى الآن الرجل الذي أتى على الحمار -في أثناء وجوده في المدرسة- يحمل البيض والعيش ليقوم بتوزيع "الوجبة" على التلاميذ.

لكن بمجرد أن وطئت قدم "عبد الرحمن" مدينة قنا، وقبل أن يتطلع إلى وجه والده، أخذه من يده، وزجَّ به إلى مدرسة صغيرة بجوار محطة القطار، قبل أن يشتري له ملابس المدرسة التي كانت عبارة عن بنطلون شورت وقميص وطربوش.

كانت هذه المدرسة ذات أعمدة خشبية، وأسطح خشبية تماما كتلك الأسطح الخشبية للركاب على أرصفة القطارات، كأن المدرسة نُصبت مؤقتًا للاجئين طُردوا من أرضهم، وعند عودتهم سوف تُفكّ تلك الأعمدة والأسقف الموجودة عليها ولن يصبح للمدرسة أثر.

المدرسة كانت تهتزّ مع مرور كل قطار، وكان جرس الحصص يختلط مع جرس المحطة، فلا تعرف أيّ الجرسين لنهاية الحصة، وأيهما لقيام القطارات.

وكان التلاميذ يجلسون في الفصول كأنهم على سَفَر، تهتزّ "التختة" من تحتهم كأنهم في قطار الدرجة الثالثة وعلى كراسيّه الخشبية ذات الألواح المستطيلة القاسية التي تظل تهتزّ وتكتشف حين تغادر القطار أن مؤخرتك صارت شرائح وقُسِّمت إلى مستطيلات بالعدل والقسطاس.

كان "عبد الرحمن الأبنودي" قادما للتوّ من القرية، ولم يتخلص من زمن الفرجة ولم يكن قد صعد رصيف محطة أبنود إلا يوم مجيئه، فقد كان في أثناء رعي الغنم حين يرى القطار مقبلا يجري إلى المزلقان ويمتطيه ويلهو به جيئة، وذهابًا، كأنه مرجيحة؛ لذلك دفع نصف القرش -مصروفه اليومي بالكامل- لزميله الذي يجلس بجوار الشباك حتى يجلس مكانه ليطل على المحطة، ويرى أحشاءها من الداخل طوال عام دراسي كامل قضاه في مدرسة المحطة التي لا يذكر أنه تعلَّم فيها شيئًا حتى تركها.

ويعلِّق الخال الأبنودي على تلك الفترة بقوله: العجيب في الأمر أنني لا أذكر مدرِّسًا واحدًا من مدرستي أو درسًا واحدًا تعاطيته، لا أذكر زميلًا واحدًا على الرغم من طول العام الدراسي.

ويواصل الخال حديثه: إنها كانت حلمًا؛ فلقد ذهبت منذ سنوات قليلة لأبحث عن هذه المدرسة فلم أجدْها، بل إنني حاولت تحديد مكانها فلم أستطع؛ إذ إن محطة قنا أُعيد بناؤها فتغيرت تضاريسها تبعًا لذلك، ولم أقدر على تحديد "مطارح" الرؤية القديمة التي استمتعت بها لعام كامل نظير نصف قرش اشتريت به المكان من تلميذ مثلي!

لكن حين ذهب "عبد الرحمن" إلى مدرسة "سيدي عبد الرحيم الابتدائية" اكتشف أنه ليس في حاجة إلى كتاب المطالعة، فقد حفظه عن ظهر قلب، وكان ذلك بفضل أستاذ اللغة العربية "أحمد عمر" كان يحبه إلى أبعد الحدود، ولا يعاقبه في ما يعاقب الآخرين عليه، وأهمها أن تلميذه النجيب لا يحضر كتبه، إذ لم أكن في حاجة إليها.

كان الأستاذ أحمد يقرأ الدرس بصوته الرخيم الجميل حتى ينهيه ليقول جملته التي يتوقعها الجميع: "اقرأ يا عبد الرحمن"، فيقف "عبد الرحمن" ليقرأ من الذاكرة الدرس سواء كان قطعة مطالعة أو نصًّا شعريًّا أو سورة قرآنية من دون خطأ.

لذلك حين تم توزيع الجوائز على المتفوقين كان نصيبه "حمالة بنطلون" بلاستيك صحتها هزيلة ومطاطها لا يَمطّ ولم تقوَ على رفع البنطلون أكثر من يومين "وراحت ميت حتة"، وحين سأله الأستاذ أحمد عمر عنها قال: "نسيتها في الشمس ساحت" فضحك الجميع.

والأستاذ "أحمد عمر" هو أول من قذف به إلى خشبة مسرح المدرسة ليلقي "خطبة" كتبها وساعده في صياغتها أخوه الأكبر "الشيخ جلال".

في هذه المرحلة كان الأبنودي يحفظ الشعر بسرعة فائقة، وكذلك القرآن الكريم الذي قد حفظه في كُتَّاب "الشيخ امبارك".

كان الأستاذ "أحمد عمر" نقطة تحوُّل كبيرة في حياة عبد الرحمن الأبنودي، ولولاه ما أحبّ الخال اللغة العربية واستطاع تطويعها في شعره؛ لذلك كان الخال الأبنودي حريصًا في إحدى زياراته لقنا منذ سنوات أن يبحث عن الأستاذ "أحمد عمر" ويذهب إليه في منزله، ويقضي معه ساعات يتذكر فيها أيام المدرسة، ليشعر الأستاذ أحمد بقيمة ما فعله قبل أن يرحل عن الدنيا.

# «المفعوصة» والجدّ و«أم البيان البِكر»

مي هشام – كاتبة مصرية

أتى على الإنسان حينٌ من الدهر، كان امتحان اللغة العربيّة هو البُعبُع الذي يخشى مُجابهته، أما أنا، وبوصفي طالبة متوتِرة لا تملُك من الثبات النفسي والثقة الشيء الكثير، ارتعدَت فرائصي لامتحان الرياضة، وتلبكت أمعائي قُبيل توزيع ورق امتحان اللغة الفرنسيّة، أما قبل امتحان اللُغة العربية، فكانت «كركبة البطن» مُخففة بحس جدي الرقيق، الذي يعتقد أني «نابغة في العربي»، ويُحدِث خِلانه بشأن حُبي للغة وكتاباتي الصغيرة الواعِدة، بيد أنه لم يكُن نابِغا ومُتفرِدا في هذا السياق إلا هو.

في موضوع إنشاء امتحان اللغة العربية للثانوية العامة، كما كان يحلو له أن يناديه بلُغة زمان «التوجيهية» بمدرسة الإبراهيمية التي درس بها جدي إسماعيل عبدالرازق، وأنهك معلميه بمواضيع إنشاء تحتَل ما بين دفتيّ كُراس كامل، استهلت «المفعوصة» التي كُنتها قصتها بأبيات شعر محدودة الانتشار، لشاعِر لم يعرِف النشر، ولم تتخطى أبياته جنبات وزارة التربية والتعليم، وحُجرات المُدرسين، وفصول الدراسة، ومنصات الإذاعة المدرسية رُبما، لستُ متأكدة.. استهللت أقول ناسبةً لشاعر «غير معروف».

شرُفت حروف الضاد إذ قالت لأكرم مُرسل
اقرأ وصايا الله بي؛ إني لأحلى ما تُلي
لُغة البلاغة والفصاحة والكتاب المُنزَل
أم البيان البِكر، لم أُسبق، ولم أتحولِ

«مفعوصة» ومتحذلقة وثرثارة، وبي من العبر ما أكاد أُبصره جليًا على بُعد ست أو سبع سنوات من اليوم، إلا أن شيئًا لا يُساوي فخر هذا العجوز البهيّ بمفعوصيّتي، إن صح التعبير، وحديثه الرائق لناظِم السطور، أستاذ اللغة العربية السابق بمدرسة «نوبار الثانوية التجارية»، الأستاذ عبدالمُنعم نور، وزميل جدي وعِشرة عُمره، الذي حفظ عنه الأبيات، وحفظتها أنا عنه بغير أن أرَه، عن حفيدته صاحبة موضوعات الإنشاء التي تستحق الدرجات الكاملة عن استحقاق.

وبالرغم من طول مجادلاتنا أنا والجدّ بعد ذلك عن ماهية «البيان البِكر»، ومدى توفيق ما توحي به في التعبير عن اللُغة العربية، لدرجة رُبما تكون جعلتنا نُبخِس الصديق الشاعر حقه، إلا أنها لم تكُن سوى فيضٌ من غيض فضيلة «النقد والتذوق» التي نشّأني الجد عليها منذ طراوة الأظافر، واجتهادي في تسلُق سريره العالي ناصع الحواف، لاستراق السمع لما ينبعث من «الوكمان» خاصته، فتتخلل وجداني قصيدة الأطلال أول ما تتخلل قبل أن أُتِم أعوامي العشرة فلا أفهم شيئًا، ليشرع هو في مُصاحباتي في أول تمرينات تذوُق الجمال في حياتي، ليبسِط لي تعبيرات صورة العصية

على فهم تلميذة الابتدائي «ومشينا في طريق مُقمر، تثِب الفرحةُ فيه قبلنا.. وضحكنا ضحك طفلين معًا، وعدونا فسبقنا ظلنا»، ويختبر خيالي بأن يُحرضني على تمثُل صورة «فعدونا فسبقنا ظلنا»، فلا أخذله طفلةً، بفيض من جيناته الوراثية الراسخة في دفتر وراثتي.

تُشفِق جدتي من مُحادثاتنا المُطوَلة مُعللةً «حرام عليك يا راجِل, مش قدك دي!»، لا آبه لها، يُسعِدني هذا القُرب المُمتع، والبساط الوثير الذي بسطه لي الجدّ في رحاب اللُغة الملكيّة، لتُضفي إلى وجودي شديد الاعتياديّة بُعدًا مُتفرِدًا، ألقي الشِعر العربيّ في الإذاعة المدرسيّة، حتى ولو بدوت برُمتي أنا وجدي من عالم آخر مازال يُجِل المدعوة «اللُغة العربية» وما تحمِله خلف ظهرها من تُراث جاهليّ «معقرب» يجعلها مُهابة الجناب، وأصدَح وهو في قعر رأسي ووجداني يشجعني أنني لست وحدي بقصائد شعرية في مسابقة «التحدُث بالفصحى»، وأنظم الشعر من «حلاوة روح» لا قريحة شعرية، هو عُنصرها المُشِع.. أذكُر أننا في مرحلة الثانويّة انتقدنا «شاعر النيل» بجلالة قدره في بيته المشهور «أنا البحرُ في أحشائه الدُر كامِن.. فهل سألوا الغواص عن صدفاتي؟»، لنستنكر «الأحشاء» المُقحمة في معرِض الحديث عن جمال اللُغة، والتي كان ليُغنيه استبدالها بـ«الأعماق»، عن ذِكر لفظ «مُمِج»، أو مثير للقشعريرة.

بالطبع لا أُنكِر على أساتذتي بالمدرسة ريّ رافِد مُهم في محبتي للغة الجميلة، التي أعتقِد أنما عرّفتني أشياء عن نفسي، في حصة «الاستماع والتحدُث» في فصل «ميس عايدة» بالصف الأول الابتدائي،

والتي أرهفت سمعها في حصة أسبوعية لأطروحتنا مُتناهية الصغر باللُغة العربية، ومُباريات الإعراب في فصل أستاذي المُلهم «مستر أحمد حمدي» الشاعِر، والفصل الأنضج في رِحاب الأستاذ العبقري «مستر عبدالجليل» بالمرحلة الثانوية، والذي كان من حُسن طالِعنا أن تقبَّل الله دعوة أستاذه «يا رب عبدالجليل تقف وقفتي وتبقى مُدرِس» من شغبه، ليقِف وَقفَته ويهدينا نحن، طالبات فصله، لطريق المنطق واللُغة وأبجديات الفِكر الفصيح.

أستطيع اليوم أن أُدرك ما أشفقت جدتي منه يوم نددت مازحةً بأحاديثنا الثنائية غير المتكافئة بين بنت العاشِرة، وعجوز الثمانين.. كان دومًا يُناغِشني بعقوده الثمانية التي تجعل أعوام وصلَنا محدودة مهما طالت «إن الثمانين وقد بُلغتُها .. قد أحوجت سمعي إلى تُرجمان».. اليوم أذكُر ما كان يقول لي، أذكُره وأنا أهاب أن أُقبِل على مقام اللُغة بغير رفيق، على صورة شعرية رقيقة، أو معنى مسبوك ببراعة، بغير صُحبته هذه المرّة، أن أنشأ أغوص في رِحاب «قصائد السِت» دون إرشاد حارِسها الذي جذبني من يدي الصغيرة إليها، وانجذبت من ساعتها، إلى بحور التذوق واستطعام مواطِن بهائها، إلى مُحيط شاسع رصين الزُرقة، يستعصي أن تجِد رفيق إلى هناك...

# كل الحكاية أبي

وئام يوسف – صحفية سورية

مـمّا هـو عالـق في الذاكـرة أيـامٌ كنـتُ أعـود فيهـا للبيـت ومعـي كرّاسـاتُ المذاكـرة، أتوجّـه بحـماسٍ نحـو أبي ليطّلـع بـدوره عـلى علامـاتي، يثنـي عـلى جهـودي ثـم يخـطُّ ملاحظاتـه التـي سـيبدي المعلـم إعجابـه بهـا لاحقًـا فأفخـر بأننـي ابنـة مـدرس للغـة العربيـة.. عباراتـه لـن تمـرّ عـلى قارئهـا سريعًـا فهـي عـلى درجـة مـن البلاغـة والتعبـير "هـذه ثمـار جهودكـم الـثرّة.. سـدد اللـه خطاكـم الغدقـة".

في مرحلـة تاليـة بسـنوات كنت أجالسـه وهـو يصحّـح أوراق تلامذته مذيّـلا إياهـا بعبـاراتٍ بـين التوبيـخ والتقديـر، لم أعلـم وقتهـا أننـي وبعـد حـين، سـأعيش نفـس الموقـف، وأكتـب لتلامـذتي ذات العبـارات.. ربمـا هـي تلـك التفاصيـل التـي سـللت لقلبـي حـبّ العربيـة عـبر سـنواتٍ كان فيهـا أبي هـو الملهـم والقـدوة.

روى لي يومًـا أنـه وخـلال إعطائـه درس اللغـة العربيـة دخـلَ تلميـذٌ متأخـرًا، فسـأله "أيـن كنـت بنـي؟" ليجيـبَ الآخـر "كنـت في التحـتِ يـا أسـتاذ".. وإذ بالضحـك بمـلأ القاعـة، فكلمـة "تحـت" تسـتخدم بنفـس معناهـا الظـرفي المـكاني لكـن بشـكل عامـيٍّ لجـأ لـه التلميـذ عوضًـا عـن قولـه "كنـت في الخـارج".

والـدي كان يسـتخدم العربيـة في حـواره مـع تلامذتـه ومـع أولاده في البيـت، فعنـد خروجـه مـن البيـت يخاطبنـا ولم يجـد مـا يريـد "أيـن حـذائي يـا أولاد؟" وعنـد تنـاول الطعـام "بابـا أعطنـي ملعقـة"، ولـدى عودتـه مـن زيـارة صديقـه يعلّـل لي قـصرَ الوقـت بقولـه "بـاركَ اللـه بمـن زار وخفّـف" مفـرداتٌ فصيحـةٌ إلا أن طريقـةَ إرسـالِه المغلفـةَ بـروح الفكاهـة كانـت تجعـل وقْـعَ اللغـة أكـثرَ خفـةً وظرافـة.

لم يحبّـذ أبي يومًـا الحديـث الـذي يتخللـه ألفـاظٌ دخيلـة مـن لغـات أخـرى عـلى غـرار مـيرسي.. أوك.. ثانكيو..إلـخ، ولا يتجـاوب مـع قائلهـا، ليـس كرهًـا لتلـك اللغـات بـل لأنـه اعتبر أن اللغـة هويـةٌ وجوهـرٌ فكـري علينـا ألّا نتخـلى عنـه حتـى في مفرداتنـا اليوميـة. وهـو الأمـر الـذي حاولت التركيـز عليـه خـلال فـترة تدريـسي للغـة العربيـة، قبـل أن أعطـف حيـاتي إلى عـالم الصحافـة.

عـشرُ سـنواتٍ سـعيتُ خلالهـا لإيصـال اللغـة العربيـة كـمادة تفيض بالجـمال والرشـاقة، في حـين قدمـت النحـو والـصرف عـلى أنهـما قواعـدُ رياضيـة تسـهّل علينـا فهـم موسـيقى اللغـة والتـواؤم معهـا، لعـلّي حققـت شـيئًا مـما صبـوت إليـه في هـذا المجـال، بدليـل النتائـج التـي كنـتُ ألمسـها بنفـسي مـع تلامـذتي الذيـن باتـوا اليـوم زمـلاءً وأصدقـاء.

إلا أننـي اليـوم وعندمـا ألحـظ مـا لحـق بلغتنـا مـن عطـب وإهـمال وتشـويه وتقبيـح أحمـد اللـه أن أبي رحـل عـن عالمنـا دون أن يشـهد ذلـك، هـو الـذي كان يتباهـى بـأن العربيـة كانـت عـلى مـدى ٨ قـرونٍ لغـة العـالم ممتـدة مـن آسـيا مـرورا بشـمال إفريقيـا وصـولا إلى جنـوب أوربـا وغربهـا. فالعربيـةُ مـوءودة بـين غـزو اللغـات الأخـرى والانتحـار الفكـري

والثقافي الذي تعيشه مؤسساتنا غير آبهين أننا بذلك ندفن هويتنا وتاريخنا وإنسانيتنا أيضًا. أملا في لحظةٍ يقوم فيها العربي من غفوته ويلحق البقية الباقية من لغة فاضت عليه الكثير، بذلك نرد شيئا من الجميل لأبي وأمثاله ممن أدركوا قيمة العربية وكانوا مخلصين لها بارين بها.

فلله درّ هذه الكلمات التي كتبها والدي يومًا معزيًا أصدقاءه لوفاة والدتهم وكم أزهو بختام مقالي بها

"كلّ نفسٍ ذائقةٌ الموت، أحبّتي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. السلام عليكم وعلى أهليكم وذويكم والبنين.. السلام على روحها الطاهرة العصماء.. أنجبتكم من نسيج خيوط الفجر.. من شروق الشمس.. من شعاع القمر.. ألقا وارتقاءً.. أنجبتكم من أب عاصم.. من عِناق طُهْر التراب، عِفّة وكفاحًا.. من حياةٍ إكليلها الأنَفُ الرفيع، فكنتم يَناعًا منه وله ضياء.. عذرا منكم.. لا أنسى جميلكم وبصماتكم الغرّاء.. أطالَ الله بقاءكم صحة وعافية.. أسبغَ عليكم النّعم والغدق والمَدَدَ الثرّ الأثيل.. سدّد الله خطاكم ورحم أم عزيز.. طيّب الله ثراها وأسكنها فسيح جنانه.. إنا لله وإنا إليه راجعون"

# عندما فضّلنا محبة اللغة العربية على «الفُل مارك»

فريد إدوارد – صحفي ومذيع مصري

"كنت محظوظا" هكذا قلتُ لنفسي عندما طلب مني الصديق حسام مصطفى أن أكتب مقالا عن اللغة العربية ودور مدرسيها في حياتي.

ثلاثة أسماء تبادرت إلى ذهني لأساتذة أفاضل لم يبخلوا بعِلمهم عليّ أو على غيري وقتما طُلب منهم ذلك، هم وفق الترتيب الزمني الذي التقيتهم فيه (سعيد ومصباح وعبد الحفيظ).

عرفتُ الأستاذ سعيد وعرفني وأنا في الصف الثالث الابتدائي، كان مدرسا للغة العربية بمدرسة بيجام الابتدائية بشبرا الخيمة، أحد أحياء محافظة القليوبية، مدرس مثالي إلى أبعد الحدود، أعطاني من محبته للغة العربية الكثير وعرّفني عليها عن قرب، تعلّمتُ منه واستطعت بنهاية ذلك العام أن أقرأ وأكتب بمفردي، والأهم أنه زرع بداخلي محبة اللغة التي أتباهى الآن أني أدرسها وأقرأ بنهم في علومها وأعمل أحيانا داخل سياقها.

الأستاذ مصباح، رحمه الله، كلمة سر كبيرة في حياتي، ورجل صاحب فضل - أو أفضال - عليّ، درّس لي أكثر من مادة في الصفين الرابع والخامس الابتدائيين، حتى الآن أتذكّره وهو يصحح لي خطأ نحويا أو إملائيا بطريقته المهذبة وبروح أبوية خالصة، أدعي له بالرحمة كلّما تذكرت كيف بذل مجهودا كبيرا كي يحب أبناؤه من الطلاب موادهم الدراسية، وبالأخص مادة اللغة العربية.

الثانوية العامة مرحلة خاصة جدا في حياة الطالب المصري، وداخل نظام تعليمي مثل الذي عندنا، موادٌ كثيرة ومدرسون أكثر مع مذاكرة مكثفة وتذكير دائم ممن حولك بأن "مستقبلك في السنتين دول"، رغم ذلك استطاع الأستاذ محمد عبدالحفيظ بحسه الفكاهي وإخلاصه لعمله بأن يجعل من مادة اللغة العربية ولا سيما فرع النحو الأقرب لقلوبنا وعقولنا، أتذكّر الآن كيف كان يشرح درسا نحويا صعبا في دقائق معدودات وخلال ورقتين أو ثلاث على الأكثر، فهو لا يعيد ما يقول ولا يضرب أكثر من مثال عن الموضوع، ورغم ذلك لا أعتقد أني قد نسيت أي من توكيداته وقت الامتحان، وحتى الآن الذاكرة تسعفني في تذكّر بعض قواعد اللغة بصوته وصورته، وذلك ليس بالشيء الهيّن، ومرجع ذلك هو سلاسته و"إيفيهاته" وأسلوب حديثه الذي لا يضاهيه فيه أحدٌ، بارك في عمرك أستاذي عبدالحفيظ.

أن تلتقي رسل علم مثل هؤلاء فهو شرف عظيم، ربما لم تتحه الظروف لكثيرين، وعندما أرى كيف يعامَل المدرسون الآن أعرف أنه - مع وجود أزمة كبيرة في الأخلاق - لم يعد المدرس قدوة مثلما كان في وقت مضى، ولم يعد الطالب نجيبا كيفما تربّينا.

هـل أحببـت اللغـة العربيـة بفضـل مدرّسـيّ الأفاضـل؟ أم لبلاغـة وفصاحـة تعبيراتهـا وقـوة بيانهـا؟ وهـل لنحوهـا وصرفهـا مـن سـحر دور في هـذا الحـب؟ أسـأل نفـسي.. هـل لعمـلي صحفيـا أو معلقـا صوتيـا يـد في هـذا الأمـر؟ أم القـراءة الدائمـة كوسـيلة لاكتسـاب معرفـة أكـبر كان لهـا الفضـل في اعتبـاري اللغـة العربيـة مفتـاح لمغـارة عـلي بابـا والكنـز؟ لا أعـرف سـببا بالتحديـد فربمـا كل هـذا شـكّل محبـة وامتنانـا وتقديـرا داخـل قلبـي وعقـلي للغـة العربيـة، وأنشـأ علاقـة احـترام وإجـلاء ونسـب بـين مدرسـيها ومحبيهـا وعارفيهـا، في يومـك العالمـي.. شـكرا لغتنـا الجميلة.

# «تشرئب» له الأعناق

أمل أبو السعود – صحفية

كان ذاك اليوم أول يوم دراسي بعد عطلة أعقبت حرب أكتوبر ١٩٧٣.

شمس رمضان ساطعة.. لكن إشراقها في ذلك اليوم كان مختلفا.. كان مصحوبا بعبير النصر.

دخل أستاذ اللغة العربية المبجل إلى تلاميذ الصف السادس الابتدائي.. أنا من بينهم. كان مزهوا يكاد عنقه يطول السماء. أستاذ رمضان كان أعرج الخطى يمشي متكئا على عصا. قال لنا ذات مرة إنه أصيب في حرب ١٩٦٧ وكانت روايته تحمل مزيجا من الحزن والأسى والكبرياء والافتخار بالإصابة.

بدا أستاذ رمضان بعد النصر مختلفا. بسمة القلب تطل من عينيه.

كان يومها "من قلبه وروحه مصري والنيل جواه بيسري" دأبه دأب أبناء الشعب الذين أبهج النصر نفوسهم من بعد حزن ورفع رؤوسهم من بعد انحناء. "أخرجوا كراسات الإملاء." وبصوت يفيض فخرا أملى علينا قطعة عن النصر كلها همزات.. منها ما هو على الألف ومنها ما على السطر ومنها ما فوق الواو وعلى النبرة. إلى أن رجرج الجدران بصوت جهوري: "كان نصرا.. تشرئب له الأعناق".

قالها بقلبه لا بلسانه. وحين نظرت إليه رأيت عنقه مرفوعا بالفعل. وحصلت في القطعة الإملائية الصعبة على الدرجة النهائية بفضل مخارج ألفاظه الواضحة السليمة. أستاذ رمضان الربع الأسمر كان أول من حبّبني في لغتي العربية. كان مخلصا في مهنته. وقد تلقاني في الصف الأول ثم اختتمت على يديه مرحلتي الابتدائية. فكان ذلك من حسن حظي.. إذ علمني فأحسن تعليمي في البداية ثم علمني فأحسن تعليمي في شهادتي الابتدائية.

أستاذ رمضان كان يحادثنا داخل الفصل بالفصحى ونرد عليه بالعامية فيرد علينا بالفصحى دون أن يقاطعنا.. فألفت آذاننا صحيح اللغة وجمال الحروف. وذات مرة لمحت زميلتي في حقيبتي المدرسية زجاجة العطر الصغيرة التي اشتريتها في اليوم السابق. مدت يدها. أخذتها. فتحتها ووضعت القليل منها على يديها. وفاح العطر في أثناء الحصة.

توقّف الأستاذ رمضان وأخذ يشم الهواء من حوله. قلبي يرتجف.. فكلنا نهابه بقدر ما نحبه. ثم قال: "وكأنني في صالون حلاقة. من فعل فعلته؟" بكل الخجل وقفت لأعترف بأنني صاحبة الزجاجة وأبيت أن أشي بزميلتي. كان أكرمه الله أينما كانت داره يكنّ لي معزة لالتزامي. ويبدو أنه رأى وجلي وخجلي.. فابتسم "إذًا فلنشكرك على تعطير الأجواء".

# آخرة الشطارة!

مينا عدلي – صحفي مصري مقيم في كندا

أكثر مادة لها ذكريات معي: اللغة العربية.

ربما لأن والدتي محامية، وكانت تهتم بجعلي أكتب بلا أخطاء لغوية أو إملائية. وكانت تشجعني طول الوقت على كتابة المقالات والقصص.

كنت أملك أيضا مكتبة مليئة بالأجندات، التي أخط فيها مؤلفاتي، بينما كنت في المرحلة الابتدائية، فيما كان باقي المكتبة محتلا بمجلدات ميكي جيب، من أيّام كنت أبيض وأسود، وجميع أعداد ملف المستقبل ورجل المستحيل وفلاش وسماش وما وراء الطبيعة وصرخة الرعب.

هذه المقدمة الطويلة لأقول إنني كنت متميزا في اللغة العربية، وكان خطي جميلا، من كثرة ما كنت أعكف بالساعات على كرّاسات الخط!

شطارتي وضعتني في موقف سخيف جدا، من المستحيل أن أنساه، كانت لدينا مدرّسة لغة عربية في أولى إعدادي، اسمها حنان، وكانت تطلب منا واجبا أسبوعيا اسمه الإملاء المنزلي، أن يملينا أحد من البيت صفحة من كتاب أو مجلة أو غيرها.

وطبعـا لأني كنـت أعشـق هـذا الواجـب، كنـت أمارسـه بمنتهـى الضمـير، وأجعـل أمـي تمليني قطـع صعبـة مـن صحـف وكتـب قانـون وغـيره. مـرة أنهيـت جميـع واجبـاتي، ثـم طلبـت مـن أمـي أن تمليني قطعـة ثانيـة، وثالثـة ورابعـة، إلى أن انتهـت كراسـة الإمـلاء! ثـم وضعـت تاريـخ اليـوم عـلى الموضوعـات جميعهـا، ثـم مسـحت التاريـخ بالكريكتـور، ووضعـت تواريـخ حصـص الإمـلاء الأسـبوعية كلّهـا مقدمـا، حتـى نهايـة العـام!

وعندمـا شـاهدت ميـس حنـان مـا فعلـت، شـكت أننـي لعبـت في تواريـخ أسـابيع قديمـة، كي أداري تقصير في كتابـة الإمـلاء! ورغـم محـاولاتي المضنيـة إقناعهـا بمـا حـدث، وعـرض الكراسـة منـذ بدايـة الحصـص، صممـت عـلى معاقبتـي مـع باقـي الطـلاب الذيـن لم يـؤدوا واجبهـم!

كان العقاب ضربتي عصا والحرمان من الفسحة!

وهكـذا، جنيـت أول ثمـرة لتفوّقـي، وأصبحـت بعدهـا أكـثر حـذرا في إظهـار شـطارتي!

# من البيت بدأت

## هاجر شعوط كاتبة جزائرية

لم يكن شغفي باللغة العربية موجها من أحدٍ بعينه، إلا أنني أستطيع القول أن تركيبة البيت الذي ترعرعتُ فيه قائمة على اللغة، فكان أبي ممن انتموا إلى الكُتاب أو ما يسمى هنا المدرسة القرآنية لمدة طويلة إبان الاستعمار الفرنسي ، حيث كانت المدارس وقتها تعمد لتعليم اللغة الفرنسية، فكان محظوظا بذلك، بتنشئة عربية أصيلة، وانتقالا إلى الأطوار الأخرى الذي تتلمذ فيها عند أساتذة مصريين وعراقيين وفلسطينيين، مولعين بالأدب واللغة، أثروا في ذائقته وحبه للشعر واللغة، انعكست علينا فيما بعد.

كان ذلك في لاوعيي ينمو إلى حد وصولي مرحلة المتوسطة "الإعدادية"، هناك ظهر شغفي باللغة ويعود للأساتذة الذي تتلمذت على أيديهم خلال الثلاث سنوات، وأتذكر جيدا، كان اثنان من مدرسي اللغة ينظمان الشعر الموزون، فصيحان للغاية، وآخر كان خطيبا في المسجد. أين تعزّزت علاقتي باللغة؟ بعدما انتبها إلى قدرتي في "التعبير الكتابي" بشكل متفوقٍ مقارنة بزملائي، مما أعطاني حافزا للبحث والقراءة وتحسين اللغة، واكتساب مفرداتٍ أخرى تغني قاموسي والصورة الإبداعية.

أتذكـر أيضـا أن أسـتاذ اللغـة في السـنة الثانيـة متوسـط والـذي كان شـاعرا ومقربـا بشـخصيته إليّ، كان يهتـم بفقـرة التعبـير ويطلـب منـا قـراءة مـا كتبنـاه، وكان دائمـا مـا يعجـب بمـا أكتبـه، طالبـا منـي نقلـه عـلى السبورة كأحسن تعبير.

أعتقـد أن أسـاتذة هـذا الطـور مـن تركـوا أثـرا جميـلا، وبالغـا في حبـي للغـة والأدب بشـكلٍ عـام، ولأننـي توجهـت بعـد ذلـك إلى القسـم العلمـي تضـاءل اهتمامـي باللغـة، تزامنـا مـع تقلـص الحجـم السـاعي لمـادة الأدب العـربي مقارنـة مـع بقيـة المـواد العلميـة، كـما أتذكـر أسـتاذا واحـدا في تلـك المرحلـة مـن تـرك أثـرا إيجابيـا، مقارنـة بالأخريـين اللـذان كانـا يعمـدا إلى الحديـث المطـول المتعمـق في الأدب القديـم والجاهـلي الـذي لم يكـن يستسـغنا ولا نفهمـه أنـداك، لاسـيما أننـا كنـا علميـين.

عـدتُ بعدهـا في المرحلـة الجامعيـة وحـدي، لأقـرأ أكـثر وأبحـث في الأدب مـما زاد تعلقـي باللغـة، ولكـن تبقـى صـورة وأثـر أسـاتذة المرحلـة المتوسـطة الذيـن دعمـوا في موهبـة الكتابـة بالشـكر الدائـم والاهتـمام بمـا أخطـه، دافعـا في حـب اللغـة العربيـة.

# هؤلاء صالحوني على العربية

يسرا سلامة – صحفية مصرية

أن تكون معلما.. هذ أمر صعب، وأن تكون معلما للغة العربية ذلك بالغ الصعوبة، اللغة العربية لا تسمح بالدخول إلا للعاشقين فقط، أما أصحاب نصف القلوب فتعطيهم هامشا يسمح بمساحة جذب، الأمر بالنسبة لي بدأ وللأسف متأخرا.

بالنسبة لمواليد بداية التسعينيات أمثالي، فهم يصطدمون بأجيال سابقة تسير في غمار الحلم الأمريكي، وجيل جديد يتبارى فيما بينه بمصطلح جديد للإنجليزية يدور على لسانه، يتباهى به، ويفخر إن كنا نحن الأكبر لا ندرك المعنى، وبين هؤلاء وهؤلاء أطفال وشباب تندثر معهم اللغة العربية.

اعتراف: في الصف الثالث الابتدائي عشقت -هل نسميه عشقا؟- طفلا متفوقا في اللغة العربية.

أتذكره جيدا، أستاذ ابراهيم، قصير القامة، له شعر ناعم، للحق وسيم، ربما أكثر من قابلتهم وسامة من الرجال، ممتلئا قليلا وتنجذب له الطالبات، ليس لوسامته، إنما لطلاقته في اللغة العربية، أمام سلاحه السبورة والطباشير، ينطلق مرتديا زى عنترة ولسان شوقي وولع لا ينطفئ.

للأسف كان ذلك في الصف الأول الثانوي، قبل ذلك لم أصطدم بعشاق، أحاول الآن وأنا في القطار أن أعتصر ذاكرتي، اللعنة ما اسم أول مدرس للعربية درس لي؟ أذكر أنها سيدة في المراحل الابتدائية الثلاثة الأولى، معهم تعلمنا الدين والحساب، في الإعدادية طيف لمدرس ذي شعر أبيض، كيف محى اسمه من ذاكرتي؟

على أي حال، ذلك الوسيم وضعني على أول الطريق، في نصف عام دراسي، حتى نهاية المرحلة الثانوية، الأستاذ صلاح الفولى، ما زلت ألقاه مصادفة في طريق ليلى، يتكئ على عصا، يشتعل رأسه شيبا، ويحمل في يده الحقيبة التي تضم كتبا عن أصول اللغة، ومع نهاية خمسينياته يبدأ في ماجستير بدار العلوم، وعند سؤالي له عن ذلك السحر، العربية، يفرج كالساحر عن كتاب عتيق، ويذكر بيت شعر أسمع به للمرة الأولى، يعود شابا، وأشعر أنا بالعجز أمام كلمة جديدة أخرى من لغة الضاد.

عامان في كنف أستاذ صلاح، في درس خصوصي، يلقنني بيتا شعريا، تشير ملامحي لصعوبته، يصبر، يشرح، يبسط، تنير الفكرة في رأسي.

بالتوازي كان أستاذ آخر في فصلى بمدرسة الأورمان، أتذكر فقط لقب عائلته، الكردي، مجدى أعتقد، لست متأكدة، لكنه يتلون في طيفي منطلقا أمام سبورة، كان الأكثر جموحا في عربيته، عاشقا، مريدا، يذكر أبيات خارج المنهج "استطعموا المعنى" يجذب بها الطالبات، قليل منهن ينجذبن للعربية، وحافظن على العهد.

# طوبى للبنائين..

إيهاب الملاح – كاتب وصحفي مصري

"ستكون دبلوماسيا رائعا أو صحفيا كبيرا".. نطق بها بحماسة حقيقية الأستاذ "محسن يوسف علي" أستاذ مادة اللغة العربية لطلاب المرحلة الابتدائية في المدرسة القومية بالهرم. وجهه أبيض ناصع مشرب بحمرة، له لحية كثة وتبدو هيئته كأنه أحد أبطال أفلام السبعينيات الأمريكية، لا تنقصه سوى النظارات الداكنة والشارلستون!

حينما يتحدث الأستاذ محسن تظهر أصوله الريفية بحضور واضح للكنة "الفلاحين"، كان ودودا ومحبا لتلاميذه جميعا. لكن أثر هذا الأستاذ في نفس التلميذ بالابتدائي آنذاك "إيهاب سيد أحمد" عظيما وممتدا. كان الأستاذ الوحيد الذي التقيته وقرر حاسما أنني طالب متفوق، وأن لغتي العربية ممتازة (رغم أنني لم أعي بذلك في حينها أو أشعر به، بالعكس لم أكن أحصل على أعلى درجات في اللغة العربية حتى ربما كان هناك من يسبقني مرتين).

في الحصة الأولى أو الثانية من العام الدراسي (كنا في الصف الخامس الابتدائي) طلب أن يقوم كل تلميذ بقراءة فقرة من موضوع الدرس المقرر. استوقفته قراءتي، أثنى عليها وامتدحها بإعجاب وقال لي "صوتك رخيم"؛ في البداية تصورت أنها إهانة أو أنه يدلل كلمة "رخم" من باب "الهزار"، طبعا أكد لي ذلك الضحكات التي تعالت من حولي في الفصل. ضحك الأستاذ محسن، احمر وجهه، علا صوته وهو يشرح "رخيم يعني حسن الصوت"، ثم قال "تقرأ وكأنك مذيع محترف!" هكذا قال.

عندما عدت إلى البيت، نما أول حلم في حياتي بأن أكون مذيعا بسبب أستاذ محسن، كانت هذه أول مرة يلتفت إليّ فيها أستاذ ويتحدث عن وجه من وجوه تفوق خارج إطار التقييمات والامتحانات، الأستاذ التفت إلى مهارة ما أو حسٍ خافت بدا أنه قد يبشر بشيء ما.

في حصة تالية، كتب الأستاذ على السبورة "اكتب في ما يلي: ما تريد أن تكتب عنه" فقط وهكذا! كتابة الموضوع لن تكون في البيت، بل هنا في الفصل، في الحصة. أول مرة نفاجأ بهذا الأمر في حصة التعبير، تحمست وأخرجت الكراسة، أمسكت بالقلم، وشرعت في كتابة موضوع عن السلام! استغرقني الأمر تماما حتى فوجئت بظله الضخم فوق رأسي، ينظر لي ويبتسم بود.

أخـذ منـي الكراسـة، لم أكـن انتهيـت بعـد، نظـر إليهـا طويـلا، ابتسـم مـرة أخـرى، قـرأ الموضـوع بصوتـه عـلى الجميـع في الفصـل، بعـد أن انتهـى مـن القـراءة طلـب مـن الزمـلاء والزميـلات أن يصفقـوا لهـذا "الكاتـب الواعـد" قـال هـذا فعـلا.

منـذ هـذه اللحظـة انعقـدت أواصر محبـة وتعلـق وإعجـاب وحـماس بهـذا الأسـتاذ الـذي اسـتطاع خـلال عـام واحـد فقـط أن يفجـر في نفـسي مـن نجاحـات عـلى مسـتوى الأنشـطة والمهـارات مـا لم أتخيلـه، تحـت إشرافـه، حصلـت عـلى جائـزة الطالـب المثـالي عـلى مسـتوى إدارة جنـوب الجيـزة. شـاركنا في مسـابقة الصحافـة المدرسـية عـلى مسـتوى قطـاع صـلاح سـالم وحققنـا المركـز الأول باكتسـاح.

كل مـن في المدرسـة عـرف اسـمي مـن لوحـات الصحافـة المدرسـية التـي كنـت أكتبهـا بخطـي تحـت إشراف الأسـتاذ محسـن.

في العـام التـالي اختفـى الأسـتاذ محسـن، سـألت عنـه كثـيرا، بعـد مـا علمـت أنـه غـادر المدرسـة، حينـما تيقنـت أنـه لـن يعـود ثانيـة بكيـت بمـرارة شـديدة، طعـم هـذه الدمـوع مـا زال في حلقـي. لم أعـد أكتـب موضوعـات تعبـير جيـدة، انزويـت ولم أشـارك في أي نشـاط عـلى الإطـلاق بعـد ذلـك، خصوصـا أن أحـدا لم يهتـم كأننـي لسـت موجـودا أصـلا، تراجـع مسـتواي في اللغـة العربيـة لدرجـة مخيفـة. صرت أقـرب إلى الانطـواء والعزلـة. الـشيء الوحيـد الـذي لم يغـادرني، نهمـي للقـراءة بتشـجيع لم يـزل مـن أسـتاذ محسـن، ومحبـة للكتابـة (بينـي وبـين نفـسي).

لا أعلم أين الأستاذ محسن الآن.. لو كان حيا أدعو الله له بالسلامة والرضا والخير.. ولو كان غادر دنيانا فإنني أترحم عليه وأدعو الله أن يجزيه خير الجزاء وأوفره.

(ملحوظة: المدرس إما أن يبني إنسانا أو يهدم إنسانا.. فطوبى للبنائين.. طوبى للبنائين)

# أيقونية أبلة هناء

غادة عبد العال – كاتبة وسيناريست مصرية

لم تكن مدرسة أحد المفضلة، لم يكترث لها أحد ولم تضع بصماتها على ذكريات أحد، فهي لم تمتز بأسلوب تعليمي متفرّد مثلا، ولا خفة روح تعرفها بها، ولا مواقف فارقة تستدعيها ذاكرتك حين تمرّ صورتها على بالك، فقد كانت "أبلة هناء" مدرسة اللغة العربية، من النوع المتوسط، ذلك النوع من المدرسين الذي لا يمثل لك أي شيء، فهي مجرد أداة تلقين تجبر كطالب على أن تمثل أمامها كل يوم بسبب قانون مجتمعي ما يلزم أمثالك بالذهاب إلى المدرسة!

لكن لأسباب مجهولة، وعلى الرغم من مضي ما يقرب من عشرين عاما ما زلت أتذكر "أبلة هناء"، بطولها الذي لا يزيد بأي حال من الأحوال على متر واحد، ببشرتها السمراء الداكنة، بحجابها الأبيض الذي بطل طرازه منذ عشر سنوات، بملامحها المكفهرّة دائما، ربما كان تذكري لها لأنها كانت وقتها أيقونة لكل ما يمثله لي المستقبل من مخاوف، كنت أنظر لها وأنا أفكر في مستقبلي برعب، ماذا سأفعل إن انتهى بي الحال مثلا، بأن يتم احتجازي في مهنة لا أحبّها، أمارسها لأكسب قوت يومي دون أن أتلقيّ أي احترام أو حتى اكتراث ممن أقدّم لهم خدماتي التي تمليها علي وظيفتي!

فقد كنا نحن طالبات السنة الثالثة من المرحلة الثانوية حقا لا نكترث لأيٍ من مدرّسينا في المدرسة، كنا أشبه ما نكون بفصل من تماثيل الشمع، نجلس في مقاعدنا الدراسية وعلى وجوهنا تعبير واحد لا يتغيّر، يصرخ بعلو الصوت أننا هنا فقط من أجل عدم تخطّي نسبة الغياب لا أكثر، فكلنا نتلقى دروسا خصوصية في كل المواد، لا نرجو ولا نتخيل أن تقدم لنا المدرسة أي إضافة لما نتلقاه خارجها.

كنا نتفنن وقتها في ابتكار الحيل التي تمكننا من السخرية من مدرسي المدرسة دون أن نتعرض لأي عقاب، كانت حصة الفيزياء مثلا تبدأ بدخول المدرس من باب الفصل ليجدنا جميعا نائمات على مقاعدنا ووجوهنا في الأرض، فلا يجد المسكين من يشرح له، فيكتب الدرس كاملا على السبورة ويجلس في مقعده ينظر لنا بغيظ، بينما نكتم نحن ضحكات السخرية بين أنفاسنا التي تنتظم جميعها سويا وكأننا بالفعل نائمات.

أما في حصة الأحياء، فلم يكن مدرس المادة ذو الشعر الأشيب وسنوات الخبرة الطويلة يضيع لحظة من وقته متخيلا أن لوجوده لزوما، فكان يجلس رافعا قدميه على الدرج أمامه، فاتحا جريدته المفضّلة، ضاربا بأي محاولة للشرح عرض الحائط، وكذلك كانت تفعل مدرسة اللغة الإنجليزية التي كانت تستغل وقت الحصة في تكملة تطريز ملابس لمولود تنتظره دون أن تبالي بصخبنا وتحركنا حولها في أنحاء الفصل، وكأنها لم تكن تعترف بوجودنا أصلا، اللهم إلا في لحظات نادرة، لتسأل إحدانا عن رأيها في غرزة تطريز جديدة ابتكرتها أو في تناسق ألوان ملابس "البيبي" الجديد.

وحدها "أبلة هناء" كانت تحاول، وبما أنها كانت مدرّسة اللغة العربية فقد كانت محاولاتها مضاعفة، إذ يقف أمامها عائقان، أولهما عائق عدم اكتراثنا بالمدرسة ومدرسيها، والثاني عائق كرهنا لمادة اللغة العربية من أساسها، خصوصا النحو، ذلك الجزء من المنهج الذي ليس له وظيفة سوى تدمير أحلامنا في الحصول على درجة المادة الكاملة، فنحن وإن كنا نبدو مشاغبات، فقد كان فصلنا يحمل لافتة عريضة مكتوبا عليها "فصل المتفوقات"، كنا نتنافس فيما بيننا تنافسا شرسا على الدرجة ونصف الدرجة، وبالتالي فقد كان كرهنا لمادة النحو عظيما.

لكن على الرغم من ذلك كله، لم تيأس "أبلة هناء" أبدا من المحاولة، بودّي أن أحكي لك كيف أثمرت محاولاتها في النهاية عن اكتسابها ثقتنا، أو حتى جذبها انتباهنا، لكن للأسف فهذه القصة ليست من هذه النوعية من القصص، لا تحمل النهاية السعيدة التي تنتظرها من قصة تحكى على مواقع التواصل الاجتماعي هدفها أن تشعر في النهاية أن الدنيا ما زالت بخير!

لم ننتبه أبدا لـ"أبلة هناء" ولم نقدّر مجهودها، ظلّت بالنسبة لنا شخصا لا ندري لوجوده سببا ولا فائدة!

فلماذا إذا أذكرها اليوم بشكلها واسمها وحدها؟

لماذا لا أستطيع تذكر اسم أي مدرس من مدرسي هذا العام الدراسي؟ ولماذا تقف ملامحها وحدها واضحة بينما تلف ملامح الباقين كلهم طبقات سميكة من الضباب؟

لماذا تدوّي في أذني حتى اليوم جملتها الأيقونية التي كنا نسخر جميعا منها: "يا سنة تالتة مفيش أسرع من الأيام"! كانت تقولها لتحذّرنا من تهاوننا وتكاسلنا، وكنت بين نوبات سخريتنا ولا مبالاتنا أستشعر صدقا بين كلماتها.

ربما لهذا السبب أتذكرها بعد كل تلك السنوات، بتقطيبة حاجبيها والضيق المرسوم على وجهها وفمها المزموم في حزم وتصميم، ربما بالفعل أثّرت فيّ وتركت بصماتها على ذكرياتي دون أن أشعر، صحيح لم تغيّر مشاعري ناحية النحو الذي ما زلت أكرهه من أعماق قلبي، لكن تصميمها وتفانيها أسّسا مثالا في لاوعيي لا يبدو أنه سينمحي.

فقد صارت "أبلة هناء" في قاموسي أيقونة المثابرة، التي لا تكترث إن لم يعيرها العالم كله انتباها، يكفيها أنها تؤدي عملها بإخلاص، وتهتم بصدق حتى بمن لا يهتمون بها، فسلام لها ولروحها الطيبة أينما كانت.

# ميستر ثروت

حنان الجوهري – صحفية مصرية

كلما صنعت طبقا من الفول بالصلصة والنعناع اليابس تذكرت تلك الورقة، كنت كأي طفلة تستهويني الأشياء الملقاة في الطرق، أجزاء اللعب المكسورة، اعقاب السجائر، صفحات الجرائد ممزقة، جزء من كتاب او غلاف مجلة، كل تلك كنت اعتبرها كنوزا، التقطها وانظفها وابدأ في اكتشافها ثم أملّ منها سريعا وألقيها مجددا إلى الطريق أو أمررها لصديق كهدية.

ذات يوم كنت عائدة من الفرن أحمل حقيبة الخبز الساخن وربطات الخضرة لأمي، وكالعادة أتفحص الأرض حولي، بينما أسير كأنني رادار. ثم التقطت عيناي تلك الورقة، فتناولتها وعدت بها فرحة لأمي.

كانت صفحة من كتاب وصفات أكلات شعبية على ما يبدو، كان الفول يُعد بطريقة مختلفة عما عهدناه في بيتنا، إذ يُضاف إليه عصير الطماطم والثوم والنعناع اليابس وفي النهاية بقدونس طازج على الوجه، ومن يومها وصار هذا الطبق المفضل عند أمي وخالاتي وإخوتي.

وصارت أمي تُشير دائما لي بفخر كلما أعدته هي أو أخي، وصارت تذكرني بهذه الورقة كلما تبادر إليّ إحباط ما في حياتي العملية، كانت ترى أن انحنائي ناحية هذه الورقة تجسيد للطموح والسعي للمبادرة. " فاكرة لما جبتي لي ورقة وصفة الفول؟ خليكي دايما كده، واسعي وما تستلميش".

حتى الآن هي تربط بين جدية المحاولة واختلاف الرؤى بهذه الورقة.. أما أنا فأربط بين الورقة وحبي للقراءة وحبي أكثر للكتابة. فدائما ما أردد أن القراءة الصحيحة هي أساس الكتابة المختلفة.

فيما بعد وفي بداية المرحلة الإعدادية، ومع تسلّمنا كتاب المعجم الوجيز، وبداية فهمنا -أو فهمي أنا تحديدا- كيفية الوصول لمصدر الكلمة، أصبح هذا شغفي الثاني في الحياة، أن أبحث عن أصل الكلمة في المعجم، هذا الكتاب الذي أهمله معظم فصلي الدراسي ولم يمسسه أحد بسوء أو بخير، صار يلازمني دائما، أتصفّحه أحيانا دون هدف، حتى إن لم يكن هناك كلمة أودّ التحقق منها، امتد هذا الشغف للخرائط، في حصص الجغرافيا استهوتني البلاد والحكايات، هكذا كنت أعتبرها: حكايات وليست دروسا، أصبح عقلي به ملفات لكل البلاد، اذكر أنت البلد فأذكر أنا تاريخها وهضابها وزراعتها ومناخها وبما تشتهر وأعلامها من فنانين وشخصيات تاريخية، كنت أذهب إلى مكتبة بجوار المدرسة، أتصفّح عناوين الكتب حتى وقعت عيني على الأطلس العالمي الطبعة القديمة لوزارة التربية والتعليم، ادخرت من مصروفي البسيط حتى أتمكن من شرائه، حملته في يدي

مثلما حملت المعجم الوجيز وقصاصات الورق بنفس الفرحة ونفس الشغف الذي جعلني غريبة السلوك بين زميلاتي.. هل كنت حقا كذلك؟ ربّما.

"ميستر" ثروت، مدرّس اللغة العربية، عاشق "ميس" هناء، مُدرّسة العلوم ذات الفم الصغير الوردي والمتزوجة، كان يأتي إليها في حصتها فتقابله بابتسامة وتعطينا تمرينا ما، لننشغل فيه، بينما تقف هي تحادثه حديثا باسما.

"ميستر"، هكذا كنا ننطقها بتأثير من "ميس" غادة بتاعة الإنجليزي ليمسّها الله بالخير، ميستر ثروت لم يكن يرحّب بأي مقاطعة خارجية في أثناء حصته، ولا حتى من ميس هناء، أراه جادا جدا إذا دخل من باب فصلنا، لا يضيع دقيقة إلا وهو يشرح شيئا ما، ليس كباقي المدرسين له تلاميذه المصطفون ولا يهتم بمن يجلس أمامه، لذا كان يعاملني بالرغم من حبي للغة كباقي التلاميذ.

المرة الوحيدة التي أثني فيها عليّ، لا أنساها، جاءنا موجّه لغة عربية من الإدارة التعليمية. كان يرتدي بدلة كاملة ويضع نظارة قراءة أنيقة، أصلع باسم الوجه، تصفّح دفتر ميستر ثروت ثم أخذ يسير بين الـ "ديسكات"، ليرى كيف نكتب في كراساتنا ويتابع طريقة شرح ميستر ثروت الذي كان متوترا، لأنه لم يكن يحب أن يُراقب أو يقاطع.

في نهاية شرحه توجه الموجّه إلى السبورة وكتب فقرة طويلة ركيكة الصياغة -متعمدا- وطلب منا أن نعيد صياغتها بحيث نبدأ بالجزء الفلاني، تسمّر جميع الطلاب في أماكنهم صمتا وبهتانا، رفعت يدي وليست لدي فكرة كيف سأفعلها، توجّهت ناحية السبورة، مدّ

ميستر ثروت يده بقطعة طباشير وهو ينظر لي في ترقب وقلق، أنا أمام السبورة الآن.. حقا؟

يجب ألا أتراجع، من خلفي بقية التلاميذ وعلى يميني الموجه وميستر ثروت، ارتجلت الفقرة كلها دفعة واحدة، ووضعت الطبشورة مكانها ونفضت يدي ونظرت للموجه، اتسعت ابتسامته أكثر وقال "أحسنت".

لم أنس وجه ميستر ثروت المنبسط حتى الآن، ولا يده التي ربتت علي، تدفعني للجلوس وتكافئني، بينما قلبي يدق من فرط الخوف والإثارة. ولم أدرك حينها لماذا اندفعت وأنا لا أعرف كيف سأصيغ الجملة، ولا كيف سأنهي جملتي!

ومن وقتها أدركت معنى المغامرة، وأهمية المعجم والأطلس، وقيمة البحث حتى في الطرقات وعلى أرصفة بيع الكتب بسور الأزبكية.

مؤخرًا، وبينما أتذكّر هذا الموقف، أدرك الآن لماذا فعلتها!

عزيزي ميستر ثروت.. لقد فعلتها من أجلك أنت..

# أستاذي الفلسطيني

د.ياسر ثابت – صحفي وكاتب مصري

في المرة الأولى التي دخل فيها فصلنا الدراسي، وقف في تلك النقطة الوهمية أمام منتصف السبورة، وجال بنظره في أنحاء الفصل، ونحن نغمغم بكلمات كلها فضول بشأن هذا المدرس الجديد لمادة اللغة العربية. بعد نحو دقيقتين، انطلق في حديثه معنا بلغةٍ عربية سليمة، معرفًا بنفسه "اسمي فوزي.. من رام الله، فلسطين".

عبر سنواتٍ دراسية أربع، وجدتُ في هذا الأستاذ الهادئ، ذي الصوت الرخيم، منارة ثقافية ومعرفية زادت من محبتي للغتنا الجميلة والإبداع الأدبي بهذه اللغة .

وحده كان قادرًا على كسر الحواجز بيننا وبين تلك اللغة وقواعدها، ومد جسور مع الأعمال الأدبية والشعرية المختلفة. طلب منا جميعًا التبرع بمبلغ زهيد من مصروفنا اليومي لشراء مجموعة من الكتب المختارة، وتبرع هو من ماله الخاص بمبلغ إضافي، وأقام لنا مكتبتنا الخاصة، بحيث نتبادل فيها استعارة الكتب وفق نظام معين، والوقوف أمام باقي الزملاء لتقديم عرضٍ ملخص عن الكتاب وانطباعاتنا عقب قراءته. هكذا قرأت أعمال نجيب محفوظ، يوسف إدريس، غسان كنفاني، الطاهر وطار، فدوى طوقان، محمود حسن إسماعيل، بدوي الجبل، وغيرهم.

كان عالمًـا مـن الانبهـار، يفتـح أبوابـه أمامنـا، وكانـت تلـك اللآلـئ تسـتحق الاقتنـاء.

لم يكتـفِ الأسـتاذ فـوزي بذلـك، بـل كان يقيـم مسـابقات ثقافيـة تـدور حـول اللغـة وقواعدهـا، والمؤلفـات العربيـة عـلى اختلافهـا، ويهـدي الفائزيـن جوائـز قيمـة: المزيـد مـن الكتـب النـادرة التـي شـكّلت أفكارنـا وزادت مـن شـغفنا باللغـة العربيـة.

صبـور، يـشرح لنـا في أنـاةٍ إعـراب "شـكرًا لـك"، ولمـاذا نقـول "نحـن الدراسـين" وليـس "نحـن الدراسـون".. وقـس عـلى ذلـك الكثـير.

بـذكاء، التقـط اهتمامـي الشـديد بالقـراءة، وشـجعني عـلى الكتابـة والإبـداع، وكان يثنـي عـلى موضوعـاتي في التعبـير والإنشـاء، وينبهنـي إلى جماليـات في اللغـة، وأهميـة تـذوق الكلـمات قبـل الكتابـة.

بـدا أول مـن يثـق في أننـي سـأؤلف كتبًـا في المسـتقبل، وكان يقـول لي بابتسـامة وادعـة "اذكـرني عنـد قومـك".. وكأنـه يقصـد بذلـك: "لا تنـس أن تهـدي أحـد كتبـك لي".

حتمًـا سأفعل.. وعد الحُر دينٌ عليه.

# اكتب ما يحلو لك

إيناس حليم – قاصة مصرية

حرية الاختيار مُلهمة ومُربكة، مثلها مثل الحياة!

كي نعيش أسوياء وصادقين يجب أن تكون قراراتنا من أنفسنا، ولكي تكون سليمة علينا أن نفكر، وكي تكون أفكارنا خارج حيز القوالب التي نتعثر بها من وقت لآخر يجب أن يمنحها شخص ما تلك الحرية.

هكذا فعلتْ أبلة "وفاء"..

كنا في المرحلة الإعدادية، عندما دخلت الفصل في إحدى حصص اللغة العربية، كانت جميلة ونشيطة ولها بحة حنونة حتى وهي تخاطبنا في حزم كي نساوي كراسينا في أعمدة وصفوف، حيَتنا وابتسمت ابتسامة المدرس الخبيثة حين يقرر أن يأتي بجديد، ثم استدارت وكتبت أعلى السبورة "اكتب ما يحلو لك"...

أضاءت الجملة اللوحة السوداء لتفتح من بعدها كل الأبواب البيضاء والملونة. أبوابٌ تُفضي إلى ممرات تُفضي بدورها إلى مُتسعٍ يطل على بحر، يستوعب حاجة النفس إلى الارتكان والجمال.

لا أتذكر يومها ماذا كتبتُ، لكني أتذكر جيدًا أنني استغرقت وقتًا طويلاً في التفكير والكتابة عن الموضوع الذي اخترته، وأنني حين انتهيت كنتُ راضية عنه تمامًا.

قبلها بسنوات أتذكر حصة اللغة العربية التي تعلمتُ فيها أن أربط الألف بالباء لأكوّن كلمة. عدتُ إلى المنزل لأحكي لأبي عن الحروف الكثيرة وشكلها الجميل.. نصحني بأن أحاول قراءة كل ما يقع في يدي.. الصحيفة، عناوين الكتب، اللافتات في الشوارع...

كانت النصيحة صعبة بالنسبة إلى فتاة في مثل عمري، لكني ولسبب ما أخذتها على محمل الجد، بعدها أصبحتُ أحاول قراءة كل الكلمات التي تمر من أمامي. وفي مرحلة أخرى صار أبي يعلمني كيف أكتب الحروف العربية بخط منمق.

المفردات.. تلك العصافير التي كانت تطل إليّ بمنقارها من النافذة، كأنها ترعى بيضها الصغير وترقد فوقه من أجلي، كأنها تُلقمني مثلما تلقم أطفالها الحَب في مناقيرهم مباشرة.. من خلف الزجاج أمد يدي إلى إفريز النافذة وأخطف العصافير لأضعها في قفص كبير صنعته داخل روحي.

أصبحتُ ألتقط الكلمات من القصص، آيات القرآن، قصائد الشعر المدرسية..

المفـردات الجديـدة كانـت تعـرف طريقهـا إلي، الكلـمات البسـيطة في قصـص "الواحـة الخـضراء" أثنـاء حصـص المكتبـة، ثـم روايـات الجيـب لــ "نبيـل فـاروق"، كلمـة "يسـتطرد".. عصفـورٌ لئيـم اسـتخدمته كثـيرًا بعدهـا في مواضيـع الإنشـاء..

الجمـل اللحنيـة في روايـات "يوسـف السـباعي" و"إحسـان عبـد القـدوس"..

أول ديـوان شـعر قرأتـه لــ "كامـل الشـناوي"، وقصائـد "درويـش" مرحلـة أخـرى...

كل الكتـب التـي قـرر كتابهـا أن يعتنـوا بجملتهـم ويرعوهـا كأنهـا فـرخ صغـير، كل المفـردات الجديـدة وكل الموسـيقى التـي تسـللت إلى روحـي بفضلهـم فأسـعدتها...

الأبواب تكون مواربة أحيانًا، وأحيانًا يقع المفتاح بأيدينا صدفة.

اليـوم تحلـق كل العصافـير التـي جمعتهـا طـوال تلـك السـنوات، تحلـق بألوانهـا داخـلي ولكـن بـلا قفـص.

# ماريان وخالد و"التشكيل"

ماريان سعيد - صحفية مصرية

على المقعد الأول بمنتصف الفصل، تجلس وأمامها مقلمة، تضع "كشكولا"، فوق كتاب خطّت عليه جملة لا تزال راسخة في ذهنها.. "لغتنا الجميلة".

لا أتذكر الكثير من ذلك اليوم، لكن على ما يبدو لم أكن في أفضل حال مع زميلتي المقعد، كنا في خضم معركة طفولية معقدة، ربما على قطعة حلوى.. ودخل أستاذ خالد بحقيبته الجلدية السوداء، وشعره الممشط إلى الجانب، وبذّته شبه الرسمية، والعرق يتصبب من جبهته، "اكتبوا الدرس كاملا.. (بالتشكيل)"، ليضرم الأفكار في عقلي، ترى ما هو التشكيل، كيف يكون.

بخبث طفلة في المرحلة الابتدائية، رحت اتلصص على صديقتي، متمنعة عن سؤالها، فكرامتي لا تسمح بالمصالحة في هذه اللحظة، ليأتي صوت من منتصف الفصل يسأل الأستاذ.. "هل من الممكن استخدام القلم الرصاص في التشكيل"، فقال له "نعم".. فومضت الفكرة في رأسي.. إذن التشكيل هو أن نكتب الكلمة بالجاف والرصاص معا حيث يكون كل حرف بقلم مختلف، نعم هكذا فكرت.

وبـدأب المجتهـد، أخرجـت قلمـين ورحـت أكتـب الـدرس حرفـا حرفـا، وكانتـا تنظـران إلى دفـتري وتضحـكان، ولم أكـن أعـرف السـبب، فكنـت أكظـم غيظـي وأقـول "بالطبـع مغتاظتـين مـن خطـي وتنظيمـي"، وبالغـت في ترتيـب الصفحـة، ولمـا انتهـت مـدة الـدرس تقدمـت بزهـو طفلـة متفوقـة لأضـع دفـتري مفتوحـا فـوق بقيـة الدفاتـر لتصحيحـه.

أمـا هـو.. جلـس خلـف مكتبـه الصغـير في مقدمـة الفصـل، كان هادئـا تمامـا، ونحـن نراقـب كراسـاتنا واحـدة تلـو الأخـرى، بتوتـر طبيعـي لمـن هـم في أعمارنـا، نراهـا تصحـح ثـم تغلـق ثـم يضعهـا عـلى يمينـه، ولمـا مسـك كراسـتي، ارتفـع صـوت الطفلتـين بالضحـك، وأنـا انكمشـت في مقعـدي.

"ماريـان"، ذهبـت مرتجفـة، ووقفـت صامتـة وفي عينـاي مليـون سـؤال، ورجـوت اللـه ألا يحرجنـي أمامهـما، كنـت مدركـة أن هنـاك جريمة مـا لكنـي لم أكـن أعرفهـا.

"خطـك رائـع.. تنسـيقك يـدل عـلى اجتهـادك، ولكـن هنـاك ملاحظة فالتشـكيل هـو أن تضعـي علامـات الإعـراب، الرفـع والجـر والضـم عـلى الأحـرف، ليكتمـل جـمال الجمـل المكتوبـة بخـط منظـم كهـذا، صفقـوا لهـا"، اختلطـت كل المشـاعر لتخلـق داخـلي جملـة إدراكيـة جديـدة، لم تكـن في قامـوس إحسـاسي، ربمـا أعجـز عـن وصفهـا، كنـت فخـورة رغـم خطـأي، مبتسـمة ولمسـة حـزن داخـلي، منتصرة في أثناء شـعوري بالفشـل، حتـما هـذا الشـعور يصعـب وصفـه حـين يلمـس طفلـة في مسـتهل عمرهـا بأبجديـات مشـاعرها البسـيطة.

كانت كلماته كعناق أبي، وتصفيقهم كهدايا أعياد الميلاد، وخطأي كتوبيخ جدتي، ومشاعري معقدة، كمشاعر أمي في كل مرة أتسبب في "مصيبة" تنم عن ذكاء.

ولما عدت لمقعدي، أخرجت كشكولي وكتبت الدرس ثلاث مرات بـ"التشكيل"، ليراه في المرة المقبلة كواجب إضافي.

ربما يومها كان شعوري بالانتصار على زميلتي أكبر من شعوري بالامتنان لهذا المعلم، مع الوقت اختفى كل شيء، وبقى "أستاذ خالد"، معلمي الأول، كما لم يغادر كتاب اللغة العربية حقيبتي حتى انتهيت من المرحلة الثانوية.

# أكبر درس تعلّمته

ياسر عبد اللطيف – كاتب مصري

أكبر درس لغوي تعلمته من معلم اللغة العربية في الصف الثالث الابتدائي، كان درسًا في البلاغة وليس في النحو. على الرغم من أن هذه المادة لا تُدرَّس في هذا العمر المبكر.

معلّمنا كان شابًا نحيلًا، يهوى الفنون. ويعزف لنا على الناي بعد أن يفرغ من دروس القراءة والنحو. طلب منا في إحدى المرات أن نكتب كموضوع تعبير رسالةً إلى صديق نهنئهُ بالنجاح. وكنت طفلا يبدو فصيحًا. ولتوي اكتسبت مفردة جديدة وهي "الرسوب" وأردت (وضع الكلمة الجديدة في جملة مفيدة) وتوظيفها في الرسالة.

كتبت للصديق المتخيّل ضمن ما كتبت: "أهنئك على النجاح وعدم الرسوب..." ابتسم الأستاذ، بعد أن قرأ موضوعي وقال لي: "من غير المناسب أن تذكر الرسوب في رسالة فرح وتهنئة!".

كان ذلك تنبيهًا ذكيًا ومبكرًا لمعنى البلاغة. وأعتقد من يومها وعيت الدرس.

# "التذنيب" وأستاذ وهيب

غادة قدري – صحفية مصرية

كنت في الرابعة أو الخامسة من عمرى عندما اشترت لي أمي أول كراسة وقلم رصاص وممحاة، وقررت أن تعلمني القراءة والكتابة قبل التحاقي بالمدرسة، كانت تلك هي المرة الأولى التي أشعر فيها بالخوف والقلق من الغد والمجهول، لأنني لا أعرف شيئا.

بدأت أمي بتعليمي في المنزل حرفا حرفا، لم تكن تنسى أو تتهاون تلك الدروس، فكل يوم في الثامنة صباحا، توقظني بالدق على الباب مصاحبا لصوت عال وهى تنادى "يلا يلا اتأخرنا يلا عشان نذاكر يلا عشان نلحق" وأنا أسألها "نلحق إيه؟" ولا يهم كيف سأبدو أو حتى أن أغير ببيجامتي، أو الشورت الصغير المتسخ بالشكولاتة، المظهر غير مهم، فهي أيضا كانت بملابس المنزل، وفى يدها الكراسة والأقلام مقبلة بوجه جاد عصبي، كان يقلقني وكنت خائفة لماذا تفعل أمي هذا، وما أهمية أن أتعلم هذه الرسومات الغريبة؟

وتدور في مخيلتي الأسئلة المقيتة التي أعانى منها حتى اليوم إلى أين أنا ذاهبة؟ ومن خشيتي كنت أنسى الحرف الذى تعلمته في اليوم السابق، لنبدأ الدروس والصعوبات في كل صباح جديد حتى الرابعة عصرا، ولم تمنعها تلك الدروس من ممارسة واجباتها المنزلية، فقد كانت تصطحبني معها إلى المطبخ، وتجبرني على الجلوس جوارها

وهـي تلـف ورق العنـب وتقلـب البصـل، وتتابـع كيـف أكتـب بينـما رائحـة التقليـة تفـوح، ومـع ذلـك لا تمنحنـي فرصـة للراحـة.

وننتقـل إلى الغـرف التـي كانـت ترتبهـا وتنفـض عنهـا الغبـار، الـذى خنـق أنفـاسي وأنـا أمامهـا أبـكى وهـى لا تتوقـف ولا تغفـل، فلديهـا القدرة أن تفعـل كل الأشـياء في نفـس الوقـت، ولا تسـتجيب إلى توسـلاتي حينـما كنـت أصرخ "كفاااايـة بقـى" وتنصحنـي بالاسـتمرار حتـى أفقـد قـدرتي عـلى الاتـزان، وتنحـدر الكتابـة إلى أسـفل السـطر، أو تتجـاوز الهامـش.

وكنـت أحـاول الهـروب مـن الـدرس بحجـة الدخـول إلى الحـمام، وشرب المـاء، وبـرى القلـم الرصـاص حتـى يتـلاشى، كنـت أتصـور في نهايـة القلـم الرصـاص الخـلاص ولكـن دون جـدوى، أمـي كانـت مـصرّة عـلى الـدروس، حتـى الملـل الـذى ينتابنـي فأبـدأ بالكتابـة بحجـم كبـير للغايـة وأقضـم ممحـاة القلـم الرصـاص، فتوبخنـي، حتـى كشـفت لهـا الأيـام أن قسـوتها لم تكـن في محلهـا؛ لأننـي كنـت مصابـة بقـصر النظـر، ولا أرى جيـدا بالفعـل!

التحقـت بالمدرسـة بعـد أيـام ولم تنتـه تلـك الصعوبـات، بـل كانـت البدايـة لتحديـات أكـبر و لاسـيما مـع دروس العـربي وكتابـة الحـروف، فتولـت الأمـر معلمتـي وكان اسـمها خديجـة، كانـت عجـوز جـدا، لا أذكـر لهـا خـيرا فعلتـه معـي، لا أذكـر سـوى العقـاب حتـى اليـوم، كانـت تقرصنـي في أذني، وتضربنـي بالمسـطرة عـلى كفـى الصغـير، وتقـوم بتذنيبـي عـلى الحائـط طيلـة الحصـة، لأقـل خطـأ وكأن تلـك السـيدة أرادت أن تنبهنـي لأن هـذا هـو مصـيري، وأن تلـك الحـروف هـي العقـاب الأبـدي ومهنتـي المسـتقبلية.

تمر الأيام، وعلى الرغم من كل ما سبق بدأت تظهر لدى مواهب الكتابة في الصف الرابع الابتدائي، كما بدأ الشغف بالقراءة في هذه السن، أمي كانت مهتمة بشراء الكتب، كنا نقرأ سويا، نتناقش فيما نقرأه، وكنت كلما انتهيت من كتاب أبدأ بالتقليد، كنت أشعر برغبة جارفة في الكتابة والرسم، كنت أتطور في الكتابة والإملاء سريعا، حتى بدأنا في دروس قواعد اللغة، وهنا بدأت صعوبات جديدة مع مدرسي اللغة العربية، الذين مروا في حياتي وجعلوني أشعر بأنني أغبى التلاميذ حتى هذا الأستاذ ذو الكرش الكبير الذى اعتاد أن يوقفني في أثناء شرودي، ليطلب منى إعراب الآيات القرآنية، ويتعمد إحراجي أمام زملائي، ثم يكلفني بواجب منزلي طويل للغاية فلا أقوم به ويكون مصيري التذنيب على الحائط.

لم يفض الاشتباك بيني وبين اللغة العربية بعد ذلك سوى رجل واحد جاء في آخر أيام الثانوية، ليعلمني العربية كنت قد تحدثت عنه سابقا اسمه الأستاذ وهيب، كان رجلا عاشق للعربية حضر من القصير من محافظة البحر الأحمر، ودرس في دار العلوم، جعلني أشاركه تلك المحبة، وأثار في نفسى الحسرة؛ لأنني لم ألتق به من قبل، فاتني الكثير، لكنه دفعني للاستمرار في الكتابة، كان يقرأ الإرهاصات الأولى التي كتبتها ويقوم بتصحيحها، وتنبأ لي بأنني سأصبح كاتبة.

انتهت أيام الثانوية، وذهب الأستاذ ولم نلتق ثانية، لكنني ما زلت أذكره بعدما أصبحت كاتبة وامتهنت الصحافة، وجوه كثيرة تروح وتأتى، لكن يبقى دائما وجه واحد لا ينسى يكون دائما شخص ترك فينا أثرا بالغا مثل هذا الـ"الوهيب" وأمي التي اختصرت المسافة، ونبهتني مبكرا لأهمية لغتنا الجميلة.

# الأستاذ عبد الجبار.. ولكمة "الإعراب"

وجدي الكومي – روائي مصري

لا أتذكر كل أسمائهم، منذ أن طلب منى الصديق حسام مصطفى إبراهيم مقالا عن هؤلاء الجنود المجهولة، الذين ربونا، وبفضلهم نشأنا في حبها، سبب مجهول محى بعض الأسماء، أستحضر هنا ثلاثة منهم، الأستاذ توفيق، الذى كان يرتدى قمصانا خفيفة في عز الشتاء، بينما نذهب إلى المدرسة متضررين من الخروج من الفراش الدافئ، كما أتذكر أستاذين آخرين، أحدهما ابن المدينة، الطويل الممشوق الأصلع، الذى كانت لكنته العربية تشعرنا أننا نجلس أمام مجود للقرآن في حفل افتتاح، سأسميه افتراضيا أستاذ سليمان.

لا أعرف لماذا تحضرني شخصيته بمسمى "سليمان"، بالتأكيد لم يدرس لي أي أستاذ يحمل اسم "سليمان"، كما سأحكى أيضا عن أستاذي الصعيدي، الذى درس لي في الثانوي، وعاقبني ذات مرة بلكمة في شفتي، سأسميه الأستاذ عبد الجبار.

أبدأ بأستاذ توفيق، مدرس اللغة العربية في مرحلة الإعدادي، أتذكره لأننا كنا نتعجب من قدرته الفائقة على تحمل البرد الشديد، بارتدائه ملابس خفيفة في شهور الشتاء الصعبة، كان يكتفى ببلوفر واحد حينما يوغل الشتاء في ثقله، في الأوقات التي نرتدى فيها أكثر من رداء، كان وسيما، ويحلو له استجوابنا في حصته، على طريقته،

يكتب فقرة من بضعة أسطر، ثم ينهضنا واحدا تلو الآخر، لإعرابها، كانت حصص الإعراب، تشهد ضربا وتقريعا، وكذلك احتفاءً بمن ينجو من العصا، بذكر الإعراب الصحيح.

في المرحلة الثانوية أتذكر أستاذي الذى سأسميه سليمان، لا أتذكر اسمه، لكنني أتذكر جيدا كيف كان طيبا، خلوقا، يحبنا، على الرغم من انتظامنا في مدرسة حكومية يتهكم طلابها على أساتذتهم، ويتباهون بالسخرية منهم، إلا أن أستاذنا – سليمان- كان وقورا، يحترمنا، ويحترم نزقنا، فقدرناه.

كنا نستمع إليه في هدوء عجيب، على الرغم من اكتظاظنا وكثرتنا، أتذكر أن الرجل لم تفارق بسمته شفتيه، على الرغم من طول اليوم الدراسي، كان يقرأ الدرس، كأنه يجود الكلمات، يمط شفتيه، ويتباهى بينما يمد الممدود، يحكى لنا أحيانا عن نفسه، ويحدثنا كأننا أصدقاؤه المقربون، شعرنا معه بالألفة مع اللغة، والقرب من القواعد، كانت حصته راحة من حصص الفيزياء والأحياء والكيمياء، وفرصة لتنفس الهواء من ثقل التفاضل والتكامل، وغيرها من المواد الثقيلة.

أما عبد الجبار، فلا أتذكر بالضبط متى درّس لنا، ربما كان ذلك في الصف الثالث الثانوي، كان متوسط الطول، ولم يكن جبارا أبدا، لكن شخصيته كانت قوية، صارمة، وصوته كان جهورا، عفيا، وعلى الرغم أنه كان يدرّس لنا في المدرسة الثانوية الحكومية، المشهورة بعتو طلابها، وفجورهم مع مدرسيهم، إلا أن هيبته كانت تسبقه، وكنا نشعر بأنه ليس من السهل مطلقا، أن نمارس معه نفس الفجور الذى نمارسه مع الآخرين.

وعلى الرغم من أنه كان زميلا لسليمان، في نفس المدرسة، فإنه لم يكن يماثله أبدا في دماثته، نسيت اسمه، لكنني لم أنس مطلقا، أنه عاقبني ذات مرة أخطأت فيها في الإعراب، بلكمة قاسية، هوت على شفتي، اندفق خط رفيع من الدم الساخن كان كفيلا بأن يُغطس الفصل في صمت مرعب، وثقيل، كان صعيديا، ولم يكن هذا السبب الوحيد لخشيته، كنا نخشاه، لأنه كان يتباهى بقدرته على إعراب القرآن، كنا نجلب له آيات صعبة ونطلب منه إعرابها، طلبنا منه إعراب "كهيعص" وحدها، لا أتذكر تحديدا ماذا فعل؛ ليخرج من هذا الموقف، لكنه فعلها، وأبهرنا، جعلنا نتوقف أمام قدرته الهائلة على إعراب الحروف التي وضعها المولى في مستهل بعض السور، كان يرمقنا بسخرية، بينما ينتهي من إعراب "كهيعص" كأنه يقول لنا: أنا أقوى منكم أيها الأوغاد الصغار، وقد كان.. رحم الله أيام أساتذتنا.. الذين نتذكر مغامراتهم مع العربية، لكننا مع الأسف لا نتذكر أسمائهم.

# كن حمارا ترَ الوجود جميلا!

جومانة حمدي

كنت طفلة غريبة الأطوار.. لو شئنا الدقة.

لا أستطيع أن أتذكر الأسباب المحورية التي جعلتني أتعلق باللغة العربية لأكتب قصصًا وقصائد نثر بها على مدار سنوات لأصبح ما أنا عليه الآن.

لكنه لا يخفي أن هناك سببين أساسيين أو شخصين كان لهما دور في علاقتي باللغة العربية.

السبب الأول وقتها هو كراهيتي للغة الإنجليزية، ومحاولاتي الجدية إظهار أني لست حِمارا، كما كانت تناديني ابنة خالتي آنذاك بل أنا رائعة وأجيد اللغة العربية ولا أحتاج إنجليزيتكم الحمقاء تلك كي تتوج عبقريتي.

ولعل السبب الثاني هو مدرس الثانوي الخاص بي "أستاذ مصطفى" الذي تدفقت في ذهني ذكراه الآن..

ملامحه وصلعته البراقة وشرّه الدفين لو شئنا الدقة.

وعلى الرغم من ذلك، كنت تلميذته المفضّلة.

وحقيقة الآن لا أستطيع وضع يدي على الأسباب التي جعلت مني تلميذته المفضلة.. على الرغم من أني كنت عنيدة شديدة التوحّد في تعاملاتي، معترضة دائمًا لسبب مجهول.

ربما لأن حماري الداخلي كان يرفض فكرة كونه حِمارًا، لذلك لم يستطع أن يرى الكون جميلًا أو يستمتع بكونه الطالب المميز لدى المدرس الأشرّ الذي ليس لديه واذع في أن يعطينا جميعًا صِفرًا في الإملاء.. ويستثنيني أنا من الصفر الكوني، على الرغم من أخطائي الظاهرة للعيان، وأنجو من العلامة الحمراء بشهادة الشهر!

ما زلت أذكر اندهاشه حين علم بصفر المونديال الخاص بي، وأنا أحمل شهادتي في غضب مبطّن بالخجل وأنا التي كانت تتشدق بحبها وقراءتها للأدب منذً الصف الخامس الابتدائي، والذي بسببه كنت أعتبر الطفلة غريبة الأطوار وسط المجتمع والناس!

وقتها رأيت معلمي المخيف يربت الكتف الضئيلة، ويقول لي بكل مودة "معاكي موسى؟!"

فكانت إجابتي في منتهي البراءة: لا.

هكذا دون اندهاش مني أو تساؤل أو توقعات أو حتى ألفاظ قبيحة اعتراضية من طرفي!

رأيته يسألني مجددًا وقد تنبه لواقعية الوضع ربما "طيب شوفي لنا كوريكتور بقى".

وقتها استوعبت سبب رغبته في الكوريكتور أو الموس، كان يريد "قشط" خطيئتي كأنها لم تكن!

ورأيته وهو يبحث بنفسه في المدرسة عن الموسى إياه، سائلا المدرسين، وباعثا في طلبه من الخارج وبيديه أخذ يلغي الصفر من حياتي ويستبدل به درجة النجاح بعد أن سألني أتفه سؤال وقتها ليحلل نجاحي من وجهة نظره، ربما عن بيت شعر في مدح الرسول!

كان أستاذ مصطفى درسًا لم أتعلّمه قطّ بالشكل المناسب "لأن حماري الداخلي كان ذاهلا طول الوقت".

الموسى مفيد جدًا، ربما أكثر فائدة من البدايات الجديدة، بل ربما من كل أدوات المحو التي لم تقنعه.. وأن أكون منطقية بحياتي ذلك المنطق المغلّف بهالة من الغرابة..

لا أعرف يقينا من فينا لقّن الآخر الغرابة.. أنا أم أستاذي المخيف الذي نجح أن يحدّ من رعب طالبات الثانوية المراهقات المرعبات في حد ذاتهن!

وحتى الآن، لم أفهم لِمَ كان يناديني "سندريلا" طول الوقت!

وأي سندريلا كان يقصد، تلك التي فقدت حذاء فوجدت حياة، أم التي كان لديها كل الأحذية وماتت ملقاة من الدور الخامس عشر؟!

لو رأيت أستاذ مصطفى، ربما لن أعرفه.. لكنه حتما سيعرفني، فأنا أنا.. منذُ كنت أبحث له عن موسى.

# سبحانك اللهم خير معلم

محمد قرنة – شاعر مصري

لا يمكن أن أفكر في الحديث عن معلم للغة العربية دون أن يقفز في ذهني القرآن الكريم مباشرة قبل أي شيء آخر، قبل والدي حتى الذي أدين له بالفضل في حبي لتلك اللغة وآدابها، ولكن بالفعل القرآن هو منهج التعليم الإلهي للبلاغة الممتنعة والحكمة الصادقة واللغة الصافية النقية، وعندما أراد شوقي مدح المعلمين كتب..

سبحانك اللهم خير معلمٍ ... علّمت بالقلم القرون الأولى

أخرجت هذا العقل من ظلماته .. وهديته النور المبين سبيلا

وبالفعل، فالخالق سبحانه وتعالى هو المعلم الأول والأخير للإنسان دائما، وحين يختار إيصال رسالته (بلسان عربي مبين) فلا بدّ أن هذه اللغة معجزة في حد ذاتها لتصبح أداة توصيل الرسالة التي تعهّد بحفظها، ومن يدرك أو يستشعر عظمة القرآن يجب عليه أن يفهم اللغة أولا ويدرك مداخلها ومخارجها وخباياها، لأن اللغة هي أداة توصيل المعنى، ودون امتلاك حقيقي للغة لن يصل إلى القارئ معنى أي شيء على الإطلاق، فالأمر الإلهي في بداية الدعوة بـ (اقرأ) يحمل معه بالتبعية أمانة التوغل في اللغة والتفقه فيها لتصبح القراءة لها معنى بعد ذلك هو الأقرب للصواب

وبعد القرآن مباشرة يأتي أبي معلما واحدا لا شريك له، ولا فضل لغيره في عشقي تلك اللغة حتى أصبحت أتنفسها، كان أبي يحفظ كميات مهولة من الشعر القديم ويستشهد بها في أغلب أو كل المواقف تقريبا، كان يحكي لي في البداية عن أيام العرب وطرائفهم بنفس اللغة التي قرأها بها في الكتب القديمة، غمس خيالي كاملا في الخيل والصحراء والفروسية والشعر في تلك الفترة، مع التركيز على سرد حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته وسيرته العطرة وكيف سارت فترة الخلافة من بعده

لم أجد في معلمي اللغة العربية بعد ذلك من اقترب ولو من بعيد من منزلة أبي في اللغة، ولكن أذكر منهما اثنين على وجه التحديد، ميس سمية في ثانية ابتدائي، ومستر إسماعيل في تالتة إعدادي، الأولى أتذكرها لأنها صنعت مكتبة خاصة في الفصل وساعدت بشكل كبير في غرس القراءة كنشاط محبب لدينا، والثاني أتذكره لأنه كان دائما ما يطلب مني أن أرتل القرآن الكريم ويدعو الآخرين إلى التعلم مني وما شابه، وبالطبع كان هذا يرضي غروري وقتها كما يجب أن يفعل.

أما المعلم الذي هو مستمر حتى الآن وسيظل مستمرا إلى أن يشاء الله فهو القراءة، فاللغة كائن حي ينمو في وعيك وخيالك على قدر ما توفر له من أدوات تساعده على النمو، والأمر الإلهي (اقرأ) في بداية الرسالة لم يكن عبثا أبدا أن ينزل على النبي الأمي صلى الله عليه وسلم، فدائما القراءة توسع من مداركك وقدرتك على استيعاب اللغة وربط الجذور ببعضها البعض حتى تصنع مناخا ملائما لنمو هذا الكائن العفي الجديد

والقـراءة لا تكـون في المقـالات أو الروايـات أو غيرهـا مـن أشـكال اللغـة المسـطحة بالمناسـبة، وإنمـا يجـب أن تكـون القـراءة في الـتراث بالأسـاس لتفهـم وتسـتوعب لغتـك، وهـذا هـو مـا يرفضـه الكثـيرون اليـوم ولا يلقـون لـه بـالا، كأن اللغـة الحاليـة نبتـت مـن الفـراغ مثـلا أو حدثـت فجـوة زمنيـة نقلتنـا بشـكل مبـاشر إلى اللغـة الحديثـة السـهلة البسـيطة، الـتراث هـو أسـاس اللغـة العربيـة يـا سـادة، واللغـة العربيـة هـي أسـاس اسـتعدادك لفهـم آيـات الذكـر الحكيـم، تغييـب الـتراث يحمـل معـه بالتبعيـة انفصـالا أكـبر عـن القـرآن الكريـم، لأن القـرآن لغتـه تراثيـة وبلاغيـة، وحـمال أوجـه كـما نعلـم، ولا سـبيل لفهمـه إلا مـن خـلال اللغـة، هـذا لمـن أراد أن يفهمـه بالتأكيـد إن لم يكـن ختـم اللـه عـلى قلوبهـم أو وضـع عليهـا أقفالهـا.

# حمدي قنديل و"الخواجاية"

نها فوزي

طول عمري "خايبة" في النحو!

أحب النصوص والتعبير والبلاغة، لكن صفر النحو يطاردني أينما حللت.

ولم ينجح مدرس في تعليمي، حتى عملت مع أستاذي ومعلمي حمدي قنديل في المجلس العربي للطفولة والتنمية، وزميلتي النجيبة إيمان بهي الدين، اللذين أدين لهما بالولاء والطاعة والجميل.

من علّمني حرفًا صرت له عبدًا، ولا الكلام ده راحت عليه؟

حمدي قنديل، رجل خلوق ومهذب، صوته منخفض، وكان يصلح أخطائي اللغوية طول الوقت، ويسخر مني، لكن في أدب، وخفة دم، ولم يبخل ولا مرة واحدة بشرح أي شيء.

عندما قابلني، كنت "خواجاية" من الجامعة الأمريكية، فتولاني بالرعاية، حتى تمكنت من صياغة خبر.

كان أوّل مدير أعمل معه، وكان دائما ما يردد "العملاق هو العملاق بين العمالقة وليس الأقزام"، ثم يأخذ بيد الفريق كله، ويساعده على النجاح وتحقيق الذات، ومنه تعلمت ألا أجحد فضل أي إنسان في أي عمل.

بعد ٨ سنوات من البحث.. أستاذي "وائل رشاد" أين أنت؟

سارة سعيد – صحفية مصرية

أتذكر ذلك اليوم الذي لم أستذكر فيه لامتحان اللغة العربية في الصف الثاني الثانوي، نتيجة انفصالي عن صديقي الذي ارتبطت به عاطفيا وقضيت الليل في البكاء بدلا من المذاكرة، لأقرر النوم -كعادتي- والهروب من الامتحان وإقناع مريم -ابنة عمي وشريكتي في الدراسة- بما خططت له، واستعددت لتحمل عواقب غضب معلمي المفضل أستاذ "وائل رشاد" -الذي أحببته واعتبرته صديقا وليس مجرد معلّم- أكثر من عواقب تغيّبي عن الامتحان بهذه الصورة المفاجئة، إلا أن أستاذ وائل كان له رأي أخر.

بعدما أغلقت هاتفي المحمول حتى لا يستطع أستاذ وائل الوصول لي أو لابنة عمي، لم يستسلم لتهربنا، بل اتصل على هاتف منزلنا وطلب من والدي أن يوقظني كي أذهب للامتحان دون نقاش مني، وبمجرد إخبار والدي لي بهاتف أستاذي، استيقظت على الفور وذهبنا أنا ومريم للامتحان، نظر لي بغضب لما فعلت، وأخبرته أني لم أذاكر ولا أريد أن أخوض هذا الامتحان، إلا أنه شجعني على المحاولة، أو على أقل تقدير أكتب موضوع التعبير المطلوب في الامتحان.

لا أتذكر الفكرة التي طلبها سؤال موضوع التعبير، ولكني أتذكر جيدا كيف أخرجت كل البكاء الذي قضيت فيه ليلتي في كتابة هذا الموضوع، صفحة واثنتان نالت إعجاب أستاذي المفضل، الذي كتب

لي حينها "أتنبأ لكِ بمستقبل باهر في الكتابة"، لأقطع هذا الجزء من الورقة، وأحتفظ بهذه القصاصة حتى يومنا هذا، ليشجعني بعدها أستاذ وائل على الكتابة باستمرار.

لا أعلم لماذا أحببت أستاذ وائل تحديدا، هل لأني أحب اللغة العربية منذ صغري -ودائما ما كنت أعتبرها "كتاب دين" المواد، فهي المادة المقدّسة لدي، كشكولها "سلك، كبير" مختلف عن باقي المواد- أم لأن أستاذ وائل يملك من الشخصية والأسلوب ما حببني فيه وفي مادته التي تصادف أن كانت هي في الأصل مادتي المحببة دائما، وبغضّ النظر عن الأسباب أحببت أستاذ وائل وتفننت في إبهاره بـ"شطارتي" حتى أحصل على مديح بسيط منه أو "خمسة جنيه" هدية تحمل إمضاءه، ولا أعلم أنها ستكون هي وصورة له في أحد الندوات كل ما تبقى من هذه الفترة.

قضى أستاذ وائل في مدرستنا عاما، وبعدها أخبرنا بنيته السفر في العام التالي للعمل بالسعودية، أتذكر وقع هذا الخبر عليّ حينها، وكيف حاولت تحاشيه، والتركيز في الوقت المتبقي له معنا، دروس وحصص وتليفونات، زاد فيها أستاذ وائل من حبنا للغة الغربية، ليس كمادة فقط وإنما كأسلوب حياة، شجّعني على الكتابة، فكنت أسهر أكتب قصصا وأخبئها بين الكتب وأدّعي أمام والديّ المذاكرة، وأذهب له يقرأها ونناقشها معا ويطوّر من كتابتي، ثم أخيرا في الامتحانات.. يسهر معنا ونتواصل ليلا حتى الفجر إذا استوقفنا سؤال، حتى كسب رهانه معي ولم أنقص في اللغة العربية سوى "نصف درجة".

سافر أستاذ وائل العام التالي، وكانت كل الأمور شاهدة على رحيله، بدءا من محاولة إيجاد بديل له لا يقلل من حبنا للمادة مرورا بـ"تزويغنا" من حصص العربي الذي لم يملأ أي مدرس أخر الفراغ الذي تركه فيها، وانتهاء بفشل كل محاولات التواصل معه بعد سفره، قبل اكتشافنا اختراع "فيس بوك"، ولكنه ترك فينا حبنا للعربي وشغفنا بالنحو، والاستمتاع بالكناية والتشبيه والاستعارة المكنية في النصوص، لكن أبدًا لم نحب مدرسًا كما أحبنا أستاذ وائل رشاد.

ما زلت أذكر أستاذ وائل في كل تفاصيل حياتي التي مررت بها، منذ التحقت بكلية الآداب قسم الإعلام شعبة صحافة وامتهاني لها، وكلما كتبت موضوعا صحفيا نال إعجابي وسمعت به إشادة من الآخرين، لا يخطر في ذهني سوى أستاذ وائل، الذي طالما رغبت في إيجاده وإخباره بما تنبأ به لي وتحقق، وأتخيل حينها ضحكته على بشرته الداكنة، وأتوقع منه الإشادة التي ستحل بي نفس السعادة التي كان يغمرني بها وأنا التلميذة "بتاعة الإذاعة" التي كانت دوما اختياره.

أكثر من ٨ سنوات أبحث فيها عن أستاذي المفضل بشكل متقطع، تارة اسأل بعض المعلمين بالمدرسة، وتارة أسأل زملائي ممن لم تقطع الدنيا سبل وصلنا، وتارة أبحث على مواقع التواصل الاجتماعي مستخدمة عشرات الطرق، إلا أن جميعها لم تفلح، لكن ما زلت على عهدي في حب اللغة، وأتذكره مع كل همزة أصححها، وكل خبر أنشره وكل موضوع أستمتع بكتابته، ولدي يقين بأني سأجده يوما وحينها سيكون أمامه أرشيف طويل، يحمل اسمي، ينتظر رأيه في كل أحرف السطور التي كتبتها، انتهاء بهذه الكلمات في اليوم العالمي للغة العربية التي أحببتني فيه وأحببتها به وصار عندي أيقونة اللغة ومعبدها.

عشقتها..

عشقتها..

لا أدري متى ولد عشقي هذا، لكنني رأيته، شعرت به، يتسلل كنسمة صيف، كلمسة حريرية، تأخذ بيدي إلى مؤشر المذياع، وتديره باحثة عن صوت تداعبه "همسة حائرة"، أو حبيبة مشتاقة، في أمل ورجاء تسأل: "أغدا ألقاك"؟ أو عاشق يرسل عن حاله تقريرا لحبيب بعيد، فيقول: "أضنيتني بالهجر، ما أظلمك"!

أو كسيرة الروح، تدلي لقلب أمها باعتراف: "أنا ما زلت أهواه، وفي قلبي ذكراه وتهفو دائما، عيناي، يا أمي لمرآه، فمن أقصاه عن دربي، ومن يا ربي أغواه"؟

جذبتني دوّامات بحورها، وفي سنوات الشباب الأولى، وبداية المرحلة الثانوية، حيث العز والمجد اللغوي، ومبدعي الشعر والأدب الجاهلي، وحسام عنترة ورماح منه تنهل، فيود تقبيلها، حيث رأى في بريقها، ثغر عبلته.

امرؤ القيس، الباكي على أطلال وذكرى حبيب ومنزل.

زهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني وطرفة قتيل الهجاء، وغيرهم الكثير والجميل.

ويأتي عام دراسي جديد، حامل لوجداني الجمال الأندلسي، ببديع موشحاته.

بل ويحمل لقلبي الصغير -حينها- حكاية عشق، ذبنا في تفاصيلها وشاركنا أبطاله ابن زيدون وولادة بنت المستكفي، نبضات القلوب، مدّ الحب وجزره، القرب والفراق.

السعادة والوجع..

وتكتمل سنوات المرحلة الثانوية، بأطلال ناجي، ومحمود حسن إسماعيل ونهره الخالد.

بحافظ وشوقي، وعبد الصبور.

كان مدرس اللغة العربية، هو الأهم في حياتي الدراسية، والأحب..

ذهبت إلى أستاذي، أحمل في قلبي وذاكرتي ولساني، همسة عزيز أباظة الحائرة: "ونحسب الكون، عش اثنين يجمعنا، والماء صهباء والأنسام ألحانا".

ما معنى "صهباء" يا أستاذي؟

كنت في الصف الأول، بمدرسة المنصورة الثانوية، أيام التهجير، ولم تبرح ذاكرتي، صورة وجهك أستاذي، وكم كنت مستاء من تلميذتك التي تتعجل سنواتها وتستمع من الأغنيات ما لا يناسبها.

سألتني لماذا أستمع لتلك الأغنية، لم أحفظ كلماتها وأبحث في معانيها؟

قلت لي: "يا ابنتي، الشعر من الشعور، وما اهتمامك بهذه الكلمات، إلا لما حركته بك من مشاعر، انصرفي لدراسة المنهج، واتركي ما لا يعنيك"!

فماذا لو كنت علمت وقتها، أستاذي الحبيب، أن تلميذتك تسبح كل مساء، مع الهادي آدم، حين يقبل الليل، بل ومع جورج جرداق، ومعجزته مرددة:

"الهوى أنت كله والأماني، فاملأ الكأس بالغرام وهات"!

خجلك وما تزيّنت به من حياء، منعك أستاذي، من أن تخبرني بأن الصهباء هي الخمر، لكنني اجتهدت وعرفتها، وفهمت القصيدة وحفظتها وعشقتها وأعشقها، ولم أنسك يوما.

كبرت وكبر حبها في قلبي وكل كياني.

هي لغة السحر، الحب، البلاغة، الإبداع، الإحساس.. ومن قبل ومن بعد، هي لغة القرآن، وما أعظمه من تشريف!

لغتي العربية، معشوقتي، حبيبتي، لساني.... أحبك.

# اسمه "مستر خِضر".. صانع الشعراء

محمد حمدي – شاعر مصري

الاعتياد يقتل الدهشة، الكل يعرف ذلك، عدا الذي يعيش الاعتياد، ذاته، وكذلك كنت أنا حين عشت طفولتي بين أب وعم وجَدّ وخالة وابنة عمة جميعهم يُدرّسون اللغة العربية، بل إن أبي كان مدرسا أول للغة العربية في معاهد الأزهر، حيث قضيت سنوات تعليمي الأربع الأولى.

بعد وفاة الوالد انتقلت إلى التعليم الأميري، ولم أحس بما يتشكّى منه أقراني من "مادة العربي" وصعوبتها، وكان هذا التشكي هو المدهش في الحقيقة، وزادت دهشتي حين وجدت معلمتي في الصف الأول الإعدادي تكتب أمثلة "النحو" على السبورة خطأ، لأجدني أخطو إليها وأميل على أذنها مصححا، فتبتسم وتمسح وتعدل، واكتشفت أنها أيضا كانت تتحدث عني مع زميلاتها في غرفة المدرسات، فزميلاتها اللاتي درّسن لي في العامين التاليين، كُنّ يدخلن الفصل وأعينهن تبحث عني لتلتقي بعينيّ ثم تنشأ ابتسامة متبادلة، يتبعها احتواء يستمر لآخر العام الدراسي.

في وقفة مع النفس لاحقا، أدركت أنني تعلمت من تلك المعلمة التي كانت تخطئ شيئا قيما، هو الاعتراف بالخطأ وعدم المكابرة، والأهم تشجيع المبادرين بالتصويب، خصوصا لو كان هذا

المبادر أصغر سنا أو أقل خبرة، فهذا من شأنه أن يرفع معنوياته ويزيد ثقته بنفسه.. نعم تعلمت هذا منكِ يا "أبله أمل".

لم أكن أجد تحديا في هذه "المادة" حين دخلت المرحلة الثانوية، فأنا أعرف المطلوب للنجاح سلفا، وأستذكر الدروس بسهولة، وتعاقب المدرسون، ولم أنتبه إلى أيهم، وكذلك لم ينتبه أحدهم إليّ، فهم كانوا يبحثون عن الطالب الذي يستطيعون استقطابه إلى دروسهم الخصوصية، ولست من هؤلاء.

جاء العام الثالث الثانوي، ونحن في مدرسة جديدة، والعجز في عدد المعلمين كبير، لتسوق الأقدار إلى فصلنا مُعلما منتدبا لشهور قليلة من مدرسة البنات، سمعنا بشدته ومزاجه الغريب وشخصيته المختلفة وردود أفعاله غير المتوقعة.. اختبرت ذلك بنفسي في أول مرة رأيته، إذ وصلت متأخرا وفي ظني أنني سأتلقى وصلة توبيخ قبل أن أتخذ مقعدي متبوعا بهمهمات وضحكات ساخرة من زملائي، لكنني فوجئت به يشير لي بالدخول دون أن ينظر لي، مستكملا ما بدأه من شرح.

مع طول مراقبتي له، أدركت أن عقاب من يتأخر أنه سيفوته شرح ماتع ومفيد من الأستاذ محمد خضر؛ للمرة الأولى أصطدم بواقع أنني فاتني الكثير على مدار السنوات الماضية من إتقان اللغة، لأن أحدا من المدرسين لم يكن يعنيه أكثر من تقديم المنهج، والإجابة على الأسئلة التطبيقية في "كتاب الوزارة"، بينما لم يكن الأستاذ خضر يشرح المقرر بقدر ما كان يناقش القضايا اللغوية والأدبية، ويتوسع في الحديث عن تاريخها والظروف المصاحبة لها.

لا أعرف ما الذي حدث لي خلال شهر واحد تابعت فيه دروس اللغة العربية، باهتمام أجبرني عليه هذا الرجل القصير خفيف الظل، فقد ألفيت نفسي أسرح مع النصوص الأدبية وأحفظها حبا لا إلزاما، وأتأمل جمالها ليس بغرض "استخراج مواطن الجمال" في الامتحان.. قصة "نظرة" للأديب يوسف إدريس كانت مقررة علينا وقتها، ولم أنس ملابساتها حتى الآن -وقد مر أكثر من اثني عشر عاما- فقط لأنه قال لنا قبل شروعه في الشرح إنها كانت سببا في تعديل قانون التأمين الاجتماعي عام ١٩٥٤.

هكذا أدركت أن "العربي" ليس مجرد مادة دراسية أحفظ ما فيها من قواعد نحوية وصرفية، بل هي وعاء للكثير من الأدوات الجمالية المشبعة، فقط إذا تتبعتها بالطريقة التي يقدم بها الأستاذ خضر دروسه.

لم يتوقف الأمر عند ذلك، فذات مرة رأيت واحدا من زملائي المقربين (الشِّلّة) يقف مع "مستر خضر" وبدا أن الحديث الدائر لا علاقة له بكونهما معلما وطالبا. عاد الزميل وسألناه عما كان يدور بينهما، فقال إنه كان يستفهم منه عن كلمة "العروض" التي توقفنا عندها في كتاب النصوص، ولم نجد لها معنى في سياق العبارة.. توقفنا عن الحديث لأن الاستاذ بدأ الحصة.

في الفسحة ذهبنا لا ينقصنا من "الشلة" فرد، لنستفهم ما معنى كلمة "العروض" التي اكتشفنا أنها بفتح العين لا بضمها، ليقول الأستاذ إنها تعني العلم الذي وضعه الخليل بن أحمد الفراهيدي، ويؤسس فيه للأوزان الإيقاعية التي يستخدمها الشعراء في

نظم أبياتهم، فمثلا إبراهيم ناجي كتب "سألتك يا صخرة الملتقى..." وهو يستحضر إيقاع "فعولن فعولن فعولن فعو"، وقصيدة عنترة بن شداد التي تبدأ بـ"سكت فغر أعدائي السكوت..." هي على وزن "مفاعلتن مفاعلتن مفاعل".

انتهت الفسحة بأسرع مما كنا نتمنى، لكنها كانت الفسحة الأهم في حياتي، فقد بُحت للأستاذ بأنني أحس بخيالات ومعان في خاطري ولا أعرف كيف أعبر عنها، فأكتفي بإعادة قراءة القصائد المقررة علينا في كتاب النصوص لتهدأ روحي، فنظر لي وفي عينيه لمعة سبقت ابتسامة شفتيه، وقال: "نتكلم بعدين.. يلا ع الفصل".

هذه الـ"بعدين" كانت في كل وقت فراغ نخلقه ويصادف أن نرى فيه الأستاذ غير مشغول بحصة أو بحديث مع زملائه، بل إننا كنا نجد وقوفه مع مدرّس آخر فرصة لنلتف حوله منتظرين أن يتفرغ لنا ليحدثنا عن الأوزان والإيقاعات والشعر، ولما كان اليوم الدراسي محدودا، فتح لنا بيته لنزوره "آخر النهار"، ولأن زياراتنا كانت كثيرة وقد بدأنا نكتب الشعر ونحتاج إلى رأيه في ما نكتبه، فكان يعطينا مواعيد في فرع النقابة المعلمين بمدينة ١٥ مايو.

لسنوات طويلة ظللنا على هذه الحال، كان هو قد عاد إلى مدرسة البنات، ونحن دخلنا الجامعة، ولم نزل نتردد عليه، لا ليعلمنا الإيقاعات، فقد أتقناها، إنما لنتعلم كيف نقرأ الشعر، وكيف نُقيّمه، كيف نتخلص من الرداءة، وكيف ننتصر على صخب الموسيقى وكليشيهات اللغة، كيف نبتعد عن أساليب الشعراء الآخرين.

لقد علمنا كيف نلقي قصائدنا من دون أن نخطئ في النطق، بطريقة سهلة ما زلت إلى اليوم أنصح بها كل من يشكو إليّ معرفته بقواعد اللغة نظريا وفشله في النطق بشكل صحيح.

اليوم، في عيد اللغة العربية، أقول للأستاذ محمد خضر "شكرا أيها المعلم"، ليس فقط لأنه دربني جيدا وقومني كثيرا، بل لأنه بعد كل ذلك أوصلني إلى شعراء كبار في نطاق مدينتي ١٥ مايو وحلوان، لأعرض تجربتي أمامهم وأتلقى تعليقاتهم وأستمع لمناقشاتهم، وأنا بعد في الثامنة عشرة من عمري، ثم أعود إليه وعندي وجهة نظر أحاججه بها فيسمح لي أن أجادله وأختلف معه، فيضرب لي -وقد أدرك أنه أجاد صناعة شاعر- موعدا في "المقهى" لنتناقش في الشعر وغيره، كندين، أستميت أنا لإثبات صحة رأيي، ويعلو صوته هو الآخر، ولكن دون أن يفقد ابتسامة شفتيه.. ودون أن تذهب اللمعة من عينيه.

# أستاذ وليس مستر

عبد الفتاح خالد – صحفي مصري

في مرحلة التعليم الأساسي انقطعت صلتي بأساتذتي جميعا، على وجه الخصوص نذكر أستاذ اللغة العربية، إلى أن التحقت بالمرحلة الإعدادية، وهنا بدأت الرحلة الممتعة مع اللغة العربية، لا سيما و أن السبب الرئيس فيها هو أستاذ مدرسة البنات، الذى كنت أدرس معه في الدرس، نعم لم يكُ من أساتذة مدرستي، ولكن كل طلاب مدرستي كانوا يذهبون لدرسه، للمتعة التي يقدمها ذلك العبقري، وهذه حقيقة، إنه عبقري.

كان النحو يمثل العقبة الشديدة التي تعرقل مسيرة الطالب في جمع الدرجات في مادة اللغة العربية، لكن مع هذا العبقري، كان النحو بمثابة حصة الرقص الممتعة، التي نتحرر فيها من قوانين الجاذبية الأرضية، لنسمو إلى آفاق رحبة محلقين فيها من المتعة والخيال، لست مبالغًا في الوصف، هذه حقيقة، وربما لن تصدقها إلا إذا درست مع أستاذ مدرسة البنات.

كان أستاذ مدرسة البنات، يدرس لنا النحو وكأنه أسهل فروع اللغة العربية ولا سهل غيره، لم تنقطع علاقتي بذلك العبقري حتى الآن، كلما استعصى على أمر ذهبت قاصده، فيشرح لي دون تكلف أو عناء، دون مقابل، يرشدني لفعل ما ينمى مهاراتي كأستاذ فيما بعد.

الثانويـة العامـة لـن أذكرهـا بـأي شـكل مـن الأشـكال، كانـت كـما كانـت، لا أعـاد اللـه أيامهـا مـرة ثانيـة، لا سـيما أيـام درس العـربي، انقطعـت رحلـة المتعـة التـي بـدأت في الإعداديـة، ورفـض أسـتاذ مدرسـة البنـات أن يـدرس لنـا في الثانويـة، بالرغـم مـن ذلـك حصلـت عـلى ٢٨,٥ درجـة مـن ٣٠ في المرحلـة الأولى، والثانيـة ٢٦,٥ مـن ٣٠ في المرحلـة الثانيـة.

أدرس الآن العربيـة في كليـة الآداب جامعـة القاهـرة، أدرس النحـو، حقـا المحـاضرة ممتعـة، لكنهـا ليسـت بقـدر الإمتـاع، الـذى كان يقدمـه لنـا أسـتاذ مدرسـة البنـات، ربمـا هـذه موهبـة في التدريـس، وكـما يقـول المثـل" كل شـيخ ولـه طريقـة".

الأسلوب والطريقة:

إن أسـاليب التدريـس هـي التـي تجعلنـا نحب المـادة بل و الأسـتاذ، وكذلـك العكـس، فـلا بُـد مـن تطويـر أسـاليب التدريـس والمهـارات لـدى الأسـاتذة، لإيصـال المعلومـة للطالـب بشـكل سـهل ومبسـط، وتبسـيط المـادة تبسـيطا علميـا، يحفـز الطالـب عـلى الاجتهـاد وحـب المـادة.

كان أسـتاذ مدرسـة البنـات يكـره بـل ويغضـب مـن أن يسـبق اسـمه بكلمـة "مسـتر" فـكان سرعـان مـا يعلـق ويقـول" أسـتاذ".

رسالة إلى أستاذ مدرسة البنات لعله يقرأها:

إنني لم أك أرغب في يوم من الأيام في دراسة اللغة العربية، لكن تمنيت في يوم أن أكون زميلًا للأستاذ " منير الفقى" أستاذ مدرسة "الشهيد عبدالرحمن حسان محفوظ" الإعدادية بنات، فرحت عندما تنازل لي الأستاذ منير عن ركعتين في قيام شهر رمضان، لأن أصلى بالناس معه، هنا أدركت كم الحب الذى أحبه له، وكذلك حبه لنا كأولاده، ففعل هذا مع أكثر من صديق لي وطالبا له.

لا أعرف هل سيقرأ أستاذ منير هذه المقالة أم لا، لكن أرسل له من القلب محبة وقبلة فوق كفيه ورأسه، هذا أقل ما يمكن أن يرسل له، أقوله له أننى مدين له بالكثير والكثير.

شكر لك أستاذ منير وليس مستر منير.

# فنانة تشكيلية هائمة تكتب عن اللغة العربية

## شيماء النجار – فنانة تشكيلية مصرية

ربّما لأني أوخذ بالجمال سريعا.. أُخذت منذ صغري بهذه اللغة..

وربّما لأني أُفضّل الغياب في العوالم المجهولة التي تغزلها خيالاتي لتفصلني عن كل واقع مرير.. كنت وما زلت أفضّل الاختباء وسط غياهب اللغة العربية!

وربّما يكون هو حبّي للتحدي.. أو الدفء.. أو الحكايات.. أو للتراث.. أو للأحاجي والألاعيب.. أو للمتضادات.. أو أن حبي للحبّ ذاته هو ما جعل فؤادي يهفو لها دائما.

حتى نهاية المرحلة الإعدادية كنت أرتاد مدرسة (مخيفة).. لم تُنشأ هذه البناية كصرح تعليمي منذ البداية.. وكانت هناك الكثير من الأساطير والشائعات التي يرويها التلاميذ عن كل ركن وكل جدار فيها.. هناك من يقولون إنها كانت قصرًا لرجل فاحش الثراء.. مَقيت.. بخيل.. وحينما مات لم يكن له من حبيب ولا وريث، فحازت الدولة البناية.. وحوّلتها إلى مدرسة.. وهناك من زعم أنها كانت كنيسة مهجورة.. وهناك من زعم أن البناية كانت لأسرة إنجليزية قُتلت بطريقة غامضة في أول يوم لهم في السُكنى!

لم أكن لأعلم حينها أبدا حقيقة أصل هذه البناية.. كل ما كنت موقنة منه، أني دائمة الخوف والوحدة داخل هذا المكان الذي كان يشعّ بالبرودة والخواء الدائمين.. حتى ملامح الفتيات بالفصل كنت أشعر فيها بشيء من الخوف يمنعني من مصادقة أي منهن.

الشيء الوحيد الذي كان يشعرني بالدفء في هذا المكان، حصة اللغة العربية، التي تعقبها عادة حصة التربية الدينية، لأن كلتا المادتين تدرّسهما المعلمة نفسها.

ربما لم أعد أتذكر اسم المعلمة.. ولكنني أذكر شكلها جيدا، كأنني رأيتها منذ الأمس فقط.. كانت امرأة بيضاء.. طويلة القامة.. ضخمة الجثة.. ترتدي غطاء رأس غير مرتب، نازح للخلف دائما.. كإشارة غياب عن نفسها من شدة انهماكها في العمل.

كانت هذه المعلمة معروفة بصعوبة المراس.. شديدة التدقيق على الحضور وعمل الفروض وتسميع المحفوظات.. وكنت أنا معتادة على أخذ فترة قيلولتي في أثناء شرحها للنحو.. ومعتادة على التملّص من فقرة تسميع المحفوظات.. كنت أشعر أن الله يحابيني حينما كنت أُفلت من بين يديها في هذه الأوقات الثقيلة على روحي دائما وأبدًا!

ولكن حينما يتعلّق الأمر بحصة النصوص أو الأدب أو البلاغة أو استخراج الجماليات أو سير الشعراء والأدباء، كنت أجد طريقي إلى المقعد الأول المواجه للمعلمة.. كمن يتطلع للقطفة الأولى.. والاستحواذ على كل ما قد تفيض به قبل أن يتسرّب إلى مسامع بقية التلاميذ.

لم يختلف الأمر كثيرا عندما انتقلت إلى المرحلة الثانوية.. إلى مدرسة حقيقية معلومة الأصل ومحددة الأبعاد.. وإلى معلم آخر بطباع أخرى.. أكثر عطفا.. أقل تدقيقا.. كما كان أكثر أناقة..

غير أنه لم يختلف كثيرا في مدى حبه وتفانيه لما يُدرّسه لنا.. لم يختلف كثيرا في كونه واقعًا تحت وطأة اللغة.. مسحور بجمالها.. فخور بما يؤديه في عمله.. سواء بتلقيننا العلم.. أو حبّه للغة.

في النهاية كانت حصة اللغة العربية مصدر شغف لي، منذ نعومة أظافري وخصوبة عقلي.. كل ما كان يؤرّقني فيها: القواعد.. القواعد والقوانين والمحفوظات كانت وما زالت تشعرني بالغضب أينما حلّ، ما جعلني أجد نفسي في نهاية الأمر أتحوّل إلى فنانة تشكيلية هائمة.. لست مُحددة في أي شيء.. غير أن قلبي لا يزال عالقا في غياهب وديان اللغة العربية.

# في يوم اللغة العربية
# «كل واحد يضرب اللي قدامه قفا»

حسام مصطفى إبراهيم – كاتب وصحفي مصري

لا تكفّ اللّغة العربية عن إبهارى، ليس بنفسها بالتأكيد، لكن بالطريقة التى يكتبها بها أصحابها!

فلم يعد مستغربًا على الإطلاق، فى هذه الأيام المجيدة، أن تجد من يكتب «الالتهاب السحاقى» وهو يقصد، لا فضّ فوه، الالتهاب السحائى، المرض المعروف، لكنه إذ أراد وضع «التاتش» الخاص به، ورّطنا فى هذا المأزق الفريد من نوعه!

ثم إنه أصبح طبيعيا أن تجد من يكتب «ليث عليه حرج»، فيما يقصد «ليس عليه حرج»، أما الليث فهو الأسد والله العظيم، ولو عرف أنه استُخدم وحُشر حشرا فى مثل هذه العبارة، فليس أقل من أن يلتهم مؤخرة من كتبها!

أما المحرّر الجهبذ الذى كتب «لا بدّ أن تستفيد أجسامنا من الشمس الصباحية والمسائية»، فلا شك أنه لن يرد لا على جنة ولا نار.

ولا أنسى ذلك المحرّر العبقرى، الذى قابل راقصة شهيرة، وأجرى معها حوارا، ثم صاغه كله بضمير المذكر: قال، جلس، تحدّث، حتى كدت أجن وأنا أقرأه، وأقسمت له يومها أن ما حدث ليس مشكلة لغوية من قريب أو بعيد، ولكنه بالتأكيد، مشكلة جينية!

فى اليوم العالمى للغة العربية، الذى يحلّ خلال يومين، لعله ينبغى لنا أن ننظم طوابير اعتذار جماعية، كل منّا يضرب من أمامه قلما، لأنه أسهم، بشكل أو بآخر، فيما وصلت إليه الحال!

فالذى أدخل أبناءه مدارس أجنبية، ولم يدقق فى مستوى ما يدّرس لهم من لغة عربية، باعتبارها كماليات لا تُسمن ولا تغنى من جوع، مقصّر!

ومدرّس اللغة العربية الذى قدّم مادته بطريقة جافة منفرة، ولم يربطها بالحياة اليومية، حتى نفر منه القاصى والدانى، مقصّر!

والكاتب الذى لا يهتم بلغته، ويجوّد فيها، ويتعلّم أسرارها، تاركا ذلك لمراجع لغوى أو محرر ديسك، مقصّر!

والمسؤول الكبير الذى يخرج على الجماهير، ويتحدث بفصحى كسيحة، لغة الإشارة أفضل منها، دون أن يلتفت إلى أنه يرتكب مصيبة حقيقية، مقصّر!

والعبقرى الذى يكتب اللوحات فى شوارع المحروسة ومحطات المترو والمؤسسات العامة، فيخلط بين الهاء والتاء وألف الوصل وهمزة القطع والمذكر والمؤنث، مقصّر!

كلنا، بصوت أحمد زكى فى «ضد الحكومة»، فاسدون، إذ نترك حبل اللغة ينسلّ من بين أيدينا هكذا، دون أن نبذل أى جهد لإبقائه، رغم أنها -اللغة- تقريبا آخر خيط حقيقى وواضح يربط بين أبناء الوطن العربى، ويربطنا بتاريخنا الذى لا نكفّ عن المباهاة به لحظة، دون أن نضيف إليه شيئًا!

وكلّنا، بعد فترة وجيزة للغاية، سوف ندفع الثمن.

فى الواقع، لقد بدأنا ندفع الثمن بالفعل، فما نراه من إرهاب، أحد مظاهر الجهل باللغة، وبالتالى البُعد عن القراءة وتنوير الدماغ، ما نراه من إهمال فى شتى مناحى الحياة، بُعد عن الثقافة التى وسيلتها الأولى اللغة، وعدم إدراك أهمية الإخلاص فى العمل وإتقانه!

بدأنا ندفع الثمن، وسوف نستمر فى دفعه سنوات طويلة، ما لم تحدث المعجزة، وأدركنا خطورة ما ننزلق إليه!

فهل تحدث؟

# مدرّسة العربي التي صنعت "الشاعرة الصغيرة"

عبلة جابر – شاعرة وروائية فلسطينية

حين أعود بالذاكرة لبداياتي في الكتابة، أخصّ بذلك الشعر، فإن أول ما يتبادر إلى ذهني سؤال معلمة اللغة العربية وكان اسمها وقت ذاك (أبلة آمنة) في الصف السادس الابتدائي.

يومها، وفي أول أيام الفصل الدراسي، بدأت المعلمة بالتعرف إلينا وسؤالنا عما نريد أن نصير حين نكبر، كانت زميلاتي يجبنها إجابات متنوعة غلب عليها: المهندسة والطبيبة، وحين وصل الدور إليّ، أجبتها وبلا وعي مني، أريد أن أصير شاعرة.

ما زلت أذكر ملامح الدهشة على وجهها. وبعد نهاية الدرس نادتني هل تعرفين الشعر؟ أجبتها وأنا أبتسم: طبعًا، وأردفت قائلةً: وأكتبه.

طلبت مني أن أحضر لها نماذج من كتاباتي. ومنذ ذلك الحين لازمني لقب الشاعرة الصغيرة في المدرسة.

كانت " أبلة آمنة" كثيرا ما تشجّعني وتطلب مني قراءة بعض من أبياتي الطفولية على مسامع زميلاتي، تمتدحني أمام الجميع، وتقول غامزة كلما رأتني (ها هي الشاعرة الصغيرة). وحين كانت تلتقي أمي في مجلس أولياء الأمور، تناديها وسط الجميع بلقب (هي دي أم الشاعرة الصغيرة). ومنذ ذلك الوقت وأمي تناديني بهذا اللقب تحببا.

كانت علاقتي بمعلمات اللغة العربية علاقة محبّة، وكن يُشعرنني دائما بتميزي لا سيّما في كتابة المواضيع الإنشائية.

إحدى الطرائف التي مررت بها، أنني كنتُ أعاني عجزا في الرسم فكنتُ أعقد صفقةً مع زميلاتي أن يرسمن لي في حصة الرسم، مقابل أن أكتب لهن في حصص التعبير.

وحين أصبحت في الصفوف الثانوية، كان لمعلماتي دورٌ كبيرٌ جدا، ما زلت أذكر كلمةً قالتها لي "أبلة أميرة": "أيا كان ما ستتخصصين فيه، إياك أن تتخلّي عن الكتابة، أظنّك ستصبحين رئيسة تحرير مجلةٍ مهمة".

أعترف الآن أن هذا أحد أحلامي التي ما زلت أحاول الوصول إليها، رغم تشتتي وضياعي وتوزّعي على تخصصاتٍ مختلفة وبعيدة عن روح الأدب.

لكن لا تزال كلمتها مصباحا يضيء لي الطريق كلما أظلمت.

# ملاحظات الأستاذ خالد

حسن الحلوجي – صحفي مصري

على مدار سنوات دراستي مرّ عليّ أثر من مدرس لغة عربية، أذكر أنهم كانوا فائقين بصورة باهرة، متميزين عن غيرهم من مدرسي المواد الأخرى، لا أدري لماذا، لا أعرف سر الهيبة التي كانت تميزهم..

كنت أشعر بضآلة علمي أمام تمكنهم من إعراب جملة بكل بساطة أو نطق عبارة نطقا صحيحا بكل سهولة، كنت أراقب هذا فيهم وأنا أراجع ما قرأت في مجلة أحضرها لي أبي، أو كتابًا من كتب محمد عطية الإبراشي، أو كامل كيلاني، استعرته من المكتبة.

وكان معظم مدرسي المواد الأخرى -للغرابة يملكون القدرة على مراجعة خطأ لغوي نطقته حين تصادف الظروف.. لا أدري هل كانوا كبارًا بصورة حقيقية أم أن مدرّسي الزمن الحالي هم الذين تقزموا وتضاءلوا.

أذكر مدرسًا اسمه خالد في المرحلة الإعدادية، كان يكتب لي ملاحظات تفصيلية على كل خطأ كتبته في كراسة الإملاء أو النحو أو النصوص.. وإلى الآن أحتفظ ببعض هذه الكراسات وأقرأ ما كتب، فكأنه لا يزال أمامي، وكأنني لا زلت طفلًا صغيرًا يجلس أمامه

وأذكـر أول سـيناريو سـينمائي كتبتـه في حصـة التعبـير في المرحلـة الثانويـة، حيـث كنـت في تحـدٍّ بينـي وبـين زمـلائي لحيـازة أكـبر درجـة مـن المـدرس، فلجـأت الى أفـكار حسـن الإمـام في السـينما. ومـا زلـت أحتفـظ بهـذه الكراسـة إلى الآن، لأن حركـة خـط أسـتاذ اللغـة العربيـة لا تـزال تذكـرني بـه بـين صفحاتهـا.

وكثـيرا مـا حفظـت ذاكـرتي ذكريـات غـير لطيفـة عن بعض المدرسـين كمـدرسي العلـوم أو الرياضيـات، بعـض الغلظـة أو الحسـم منهـم، لكنـي لا أحتفـظ في ذاكـرتي سـوى بـكل عطـف ورقـة وشـاعرية منحهـا لي مدرسـو اللغـة العربيـة، بمـا يحفظـون مـن أشـعار، وبمـا يملكـون مـن حلـو اللسـان وبراعـة البيـان وقدرتهـم عـلى التأثـير في عـلى مـدار سـنوات الدراسـة التـي مـرت بهـا حيـاتي.

# وصرخت ميس صافيناز بصوتها الجهوري: اكسح!

إيمان الوصيفي

كان التعليم في أيامنا يختلف!

جلاد ورقي باهت، كتب تجلد تجليد المصاحف، وعصيان خشبية طويلة يكسوها شريط لاصق بألوان مختلفة، تعمل عمل أحزمة الكاراتيه، وكان لون الشريط اللاصق دائمًا يعكس شخصية من يحملها، ودائما ما كانت ميس صافيناز مدرسة اللغة العربية بمدرستنا الابتدائية تغطّي عصاتها بالشريط الأسود!

كنا نهاب اللغة العربية كهيبتنا ميس صافيناز وعصاتها السوداء التي أطلقنا عليها ألف اسم، لا أذكر منها إلا الأشكيف.

كنا نراها لغة صلبة، لا يأتي من ورائها غير العقاب. واجبات طويلة جدا وكتابة ليل نهار وعصاة تنتظرك صباح اليوم التالي إذا نسيت النقطة فوق النون أو كتبت زايا بدلا من الذال. نقف صفًا طويلاً لمراجعة الواجب مع ميس صافيناز ومن كان يقبض علية بالجرم المشهود عليه أن يفتح يديه ليتلقّى ٨ ضربات ملتهبة من الأشكيف الأسود، قبل أن يسمع جملة ميس صافيناز المعهودة التي لم أفهم معناها قط: اكسسسسححح! كان هذا هو "الكيو" بانتهاء دورك من على منصة العقاب، لتعود لمقعدك البارد ململمًا أشتات كرامتك.

كثيرا ما باءت محاولات والدتي -الدرعمية- رحمها الله لحثي على حب اللغة العربية بالفشل، فكنت دائما أرى ميس صافيناز تصرخ في وجهي! ولم أفهم قط كيف كانت أمي تشجع أولاد صديقاتها على حب اللغة العربية والإعراب، لدرجة أنني كنت أراها تفتح المصحف وتقول لهم أعربوا.. فيُعربون! وأقف أنا مشدوهة!

حتى بعد وفاة والدتي، لم أحبّ اللغة العربية، إلا منذ بضع سنين، عندما بدأت الكتابة، وكان عليّ التعرف إليها أكثر، كان ذلك كلقائنا الأول بعد خصام بات عقودًا، هل أحسست قبلا أنك كنت تتحاشى شخصا ما بشدة، لأنك لم تعرفة حقًا، وعندما عرفته، أدركت كم كنت غبيًا؟

تلك كانت علاقتي باللغة العربية، بداية سيئة ثم علاقة وطيدة!

مأساة حقًا أن تدرس اللّغة من أُناس لا يغرمون بها وينشرون محبتها بيننا!

# في اليوم العالمي للغة العربية.. سلامًا على البلوفر الممزق

إنجي إبراهيم – صحفية مصرية

عاشت أمي حياتها كلها -تقريبًا- امرأة عاملة، موظفة بهيئة الاتصالات، أتذكر جيدًا زمنًا كانت تمتلك فيه ثوبين، أحدهما سماوي اللون والآخر زيتوني قاتم، في الشتاء كانت ترتدي تحتهما ثيابًا ثقيلة، وهكذا كان الثوبان ثروة خزانتها، في حين كنت أمتلك أنا وأختي ثيابًا كثيرة، نرتدي بعضها ونتذمر من بعضها الآخر، ويظل حبيس الخزانة لا يرى الشارع أبدًا حتى تقرر أمي أن "تديه لصاحب نصيبه".

ما علاقة هذا باللغة العربية ومدرسي اللغة العربي واليوم العالمي للغة العربية؟

عندما طُلب مني أن أكتب عن مدرسي اللغة العربية الذين مروا علي، اعتصرت ذاكرتي جاهدة أن أتذكر أيا منهم، تذكرت مدرسات ومدرسين كثر، وفشلت تمامًا في تذكر أي وجه له علاقة باللغة العربية، تذكرت فقط أنني كنت أقوم بحساب درجاتي المتوقعة في امتحانات اللغة العربية دون احتساب الخمس عشرة درجة الخاصة بالنحو، رغم أنني كبرت وأصبح اللعب مع اللغة العربية "أكل عيشي"، لكن علاقتي بالنحو والصرف والقواعد كانت -وما زالت- علاقة يشوبها الكثير من التوتر.

تذكّرت فيما تذكرت، بضعة مشاهد متفرقة لمدرسي اللغة العربية في حياتي، مثل "ميس زينب"، مدرّستي في الصف الأول الإعدادي، لا أتذكر أي شيء عنها متعلقا باللغة العربية، ولا أتذكر أصلًا سوى مشهد واحد فقط، وهي تجلس فوق مقدمة إحدى "الدكك" وتسأل سؤالًا أعرف إجابته، فأرفع يدي هاتفة "ميس ميس ميس" بتكرار مثير للأعصاب، هنا يجب أن نذكر أن نظري كان ضعيفًا ولم أكن أرتدي عوينات، فلم أر ملامح وجهها المتصلبة تجاهي في غضب، فاستمررت في النداء عليها بنفس الإصرار حتى ثارت وانفجرت في وجهي.

أتذكر أيضًا "ميس سعاد" مدرستي في الثانوية، كانت شابة في منتصف الثلاثينيات غير متزوجة، تعاني من شيء ما في كف يدها اليسرى، كانت خفيفة الدم جدًا صاخبة، لا تفقه أي شيء في التدريس، ثم تزوجت فجأة وأصبحت أكثر هدوءًا وأقل صخبًا، ولكنها ظلت لا تعرف كيف تقوم بالتدريس، رغم أنها ربما كانت تعرف اللغة العربية جيدًا.

أما "ميس وفاء"، فلا أذكر اسمها الكامل، وإن كنت أود لو عرفته، لأخبرها أنني أفهمها تمامًا، وأراها جميلة جدًا، رغم مظهرها غير المهندم.

كانت "ميس وفاء" مدرسة عادية، لا أذكر عنها عبقرية خاصة، بالأحرى لا أذكر عنها أي شيء سوى حديثها المتواصل عن ولديها الصغيرين، بل لا أدري إن كان لديها ولدان فعلا، أم أن عقلي اختلقهما، ليبرّر المشهد الذي لا أستطيع نسيانه عنها.

كنت في المدرسة الإعدادية، أتذكر اتجاه الفصل ووضع السبورة ووقفتها أمامها، كانت ترتدي خمارًا غير محكم الربط، وبلوفر من الموهير الأزرق والأحمر تظهر أكمامه من تحت خمارها، الموهير من أغلى أنواع الأقمشة بالمناسبة، لا يتناسب إطلاقًا مع حجابها المهلهل ومظهرها الفقير عامة، كانت منغمسة تمامًا في الشرح فرفعت ذراعيها عاليًا ليطير الخمار ويظهر البلوفر كاملًا من تحته.

سكت الفصل تمامًا في تلك اللحظة، فالخمار كان يخفي تحته بلوفر متهرئًا تمامًا، فجوة كبيرة مكان الصدر الممزق، وقميص أبيض رخيص السعر، يطلّ من تحته، كان المشهد يشبه ماستر سين الأفلام الدرامية، المعلمة الوقور التي تداري فقرها المدقع لتربّي أولادها، ثم يكتشف الجميع ما تحاول إخفاءه حفظًا لماء وجهها.

لا أنسى هذا المشهد أبدًا، كما أنني لا أنسى أن أمي ظلت عامًا وأكثر تمتلك ثوبين فقط.

صحيح أنني لا أمتلك ذكريات كثيرة عن مدرّسي اللغة العربية، لكني أمتلك كنزًا من الحكايات لم أكن لأحكيها يومًا لولا اللغة العربية، فسلامًا على ثوبي أمي الوحيدين، وسلامًا على البلوفر الممزق، وسلامًا للغة العربية في يومها العالمي.

# الأستاذ هاني وردة.. سندوب الإعدادية بنين

محمود عبد الرازق – شاعر مصري

كانت المسألة من بدايتها مجرَّد: هذه فتحة، هذه كسرة، هذه ضمة، هذا سكون، انطق هكذا، في بداية الجملة مبتدأ، في نهايتها خبر... حتى ظهر "الأستاذ هاني" وأنا في الصف الثاني الإعدادي...

لم يكُن تدريس اللغة العربية عنده مجرَّد نقل معلومات أو توصيلها؛ كان يهتمّ فقط بأن "نشعر باللغة".

في أول حِصّة رأيتُه فيها في المدرسة الإعدادية ببلدتي، كنت متحفِّزًا جدًّا بعد عامٍ كاملٍ مع معلِّمةٍ كان أقصى جَهدِها أن تقرأ الدرس من الكتاب، وأقصى طموحها أن لا تخطئ في القراءة، وكُلّ رجائها أن أتجاهل -أنا الطالب الفذلوك- ما تخطئ فيه، ففي الأوَّل والآخر "كلّكو هتنجحوا بإذن الله".

كنت متحفِّزًا، وأنتظر ما يقع فيه من أخطاء لأنبّهه لها... ومرّت الحصة، ولم يخطئ... ولأول مرة منذ وقت طويل أشعر بـ"المتعة" من الاستماع إلى "إحساس المعلّم باللغة العربية". كان يحسّ اللغة، وكان ماهرًا في نقل هذا الإحساس، وكان كل تلميذ في الصف يشعر أنه يحدّثه هو بشكل شخصي... أما أنا فلم أكن أشعر بهذا، بل كنت أعرف هذا. كنت أعرف أنه يحدِّثني بشكل شخصي بالفعل، وربما كان يحدِّثني وحدي

انتقلتُ إلى الثانوية العامة، ولا أحد يقدِّر حتى الآن مدى سعادتي حين علمتُ أنه -في صدفة نادرة التكرار- نُقل إليها من المدرسة الإعدادية أيضًا. لم يدرّس لصَفِّي في الثانوية، ولكن جميع المدرّسين اعتادوا أن "محمود بتاع أولى تاني" إذا دخل غرفة المدرّسين فإنه سيناقش الأستاذ هاني في اللغة العربية، وفي الغالب ستضيع عليه الفسحة، وربما الحصة التالية إذا لم يكن الأستاذ هاني مشغولًا

لم يكُن الأستاذ هاني وردة ذلك العالِم بكل شيء في اللغة، فكثيرًا ما كان يقول: "مش عارف"، ولكنه كان دائمًا يُتبِعها بـ"هادوَّر عليها أو أسأل حدّ أعلَم منّي وأقول لك". وخلال يوم أو بعض يوم كان يعود ويخبرني بالإجابة، وبإجابة كل ما قد يطرأ على ذهني من أسئلة متفرِّعة، كأني أنا الذي كنت أبحث لا هو

بسببه هو وحده أحببتُ اللغة العربية، لم تعُد تلك المادة التي أنا متميِّز فيها لقدرتي على استيعاب قواعدها أو حفظها وحفظ نصوصها ومعاني كلماتها، بل أصبحَت تلك المحبوبة التي أشعُر بأنفاسها على وجهي كلما تأمّلتها، أصبحَت تلك الشمس المضيئة في صدري دومًا، التي كلما تعمّقتُ فيها لم أجد قاعًا، حتى أيقنتُ أنها كَوْن كامل، لا سطح له ولا قاع، ولا أول له ولا آخر.

أنهيتُ دراستي الجامعية، وتركت قريتي واتجهت إلى القاهرة سعيًا لطلب الرزق، وبعد عدة سنوات عدت إلى بلدتي لقضاء أحد أعياد الأضحى بين أهلي، وفي صلاة العيد رأيتُه بعد غياب نحو ١٠ سنوات. كان يجلس بجواري مباشرةً! تساءلتُ: هل يذكرني؟ لا بأس إن لم يكُن، فهو واحدٌ لا سواه بالنسبة إليّ، أما أنا فواحد من آلاف التلاميذ الذين علّمهم.

أنهينا الصلاة، وقبل أن ألتفت لأسلّم عليه فوجئتُ به يلتفت إليّ باشَّ الوجه، يسلّم ويحتضن وتنطق السعادة من كل ملامحه. كان يذكرني ويذكر مهارتي في اللغة ويذكر مشاغبتي وحُبِّي الدائمَين له. سألني: "بتشتغل إيه الوقتي؟"، قلت: "اشتغلت مدرّس كام شهر، وحاليًّا مراجع لُغوي"، قال: "غريبة! لسه مابقيتش عضو ف مجمع اللغة العربية؟! مش مشكلة، هُمّا الخسرانين"...

سلام الله عليك يا أستاذ هاني حيثما كنت ومتى كنت، إن الطواحين التي رُبطنا بها أصبحَت تذرونا في كل اتجاه، وتُبعِدنا عن الأحِبَّة وتُبعِدهم عنَّا.

كل عامٍ وأنتَ بخير، وكل عامٍ واللغة العربية بخير ما دامَ نَفَسُك يتردّد في عقول وقلوب تلاميذك، كتبه الله لك عَقْد مَحَبَّة وصَكّ غُفران.

# الفهرس


خالي محمود
إيمان أبو أحمد – كاتبة مصرية ..... ٥

أمي في عشقها للقراءة
د.لنا عبد الرحمن – روائية لبنانية ..... ٨

لغة العالم الأولى
محمد صادق – كاتب مصري ..... ٩

عشقي وملاذي
نهال الخضر – كاتبة مصرية ..... ١١

من الألف إلى الياء
رؤوف جلال – كاتب مصري ..... ١٣

باب الدهشة
نسمة تليمة – صحفية مصرية ..... ١٥

مراسيل الحب
معاذ رياض – قاص مصري ..... ١٨

رسالة إلى العاقر التي أنجبتني
دعاء محمد – صحفية مصرية ..... ٢٢

أعشق التفاصيل
بسمة شيخو – شاعرة سورية ..... ٢٦

لأني ولدت وتعلمت في قرية
مي حمدي – شاعرة مصرية ..... ٢٨

العربية بين يدي معلماتي
سامية مصطفى عياش - روائية فلسطينية ..... ٣٠
انعزالك بداية اكتشافك
ميرنا عادل النجار - كاتبة مصرية ..... ٣٣
المدرس الذى سقط من ذاكرتي!
د.رضوى زكي - كاتبة مصرية ..... ٣٦
اثنان
سامية علام - صحفية مصرية ..... ٣٩
مريم شمسان.. الراحلة الباقية
هدى الصاوي - كاتبة مصرية ..... ٤١
هدية الله للأرض
رضوى شلش - صحفية مصرية ..... ٤٤
حضر الكتاب وغاب المعلم عن الذكرى
سونيا بوماد - روائية لبنانية ..... ٤٦
المدرس العاشق
محمد رفيع - روائي وكاتب مصري ..... ٤٨
لولاهم ما تذوقت جمال الأشياء
رضوى علي - كاتبة مصرية ..... ٥١
إنه أبي
رحاب ولي الدين - كاتبة مصرية ..... ٥٦
إلى أستاذ م.ب.. محاولاتك لم تفشل كثيرا
دينا سعد - كاتبة مصرية ..... ٥٨

رسالة إلى أستاذي العزيز.. نحن على شفا جرف
سعيد محمود – شاعر وصحفي مصري ..... ٦٠

مشوار الكراهية والعشق
كارولين كامل – صحفية وكاتبة مصرية ..... ٦٣

أستاذتي بين ضمير الغائب في النحو والحاضر في زمن
دعاء سمير ..... ٦٧

اللغة العربية تنافس حواء في العشق
جرجس نظير – كاتب وشاعر مصري ..... ٧٠

الأستاذ إبراهيم شخلول وسارق البصل
سامية بكري – صحفية وروائية مصرية ..... ٧٢

ارقد في سلام يا جدى
دينا ماهر – كاتبة وشاعرة مصرية ..... ٧٥

معلمي الفلسطيني علمت حقًا أن «الحماقة أعيت من يداويها»
كرستينا عياد – صحفية مصرية ..... ٧٨

مدرسو اللغة العربية والأدب العربي .. أحبابي
إبراهيم عادل – صحفي مصري ..... ٨١

سلامٌ على إبراهيم
تامر عبد الحميد – سيناريست ومخرج مصري ..... ٨٤

يا سماسم
سامية أبو زيد – كاتبة وروائية مصرية ..... ٨٧

«بحر بن بحر الجاحظ».. ولا ترض بما دون النجوم
نهى سعداوي – كاتبة تونسية ..... ٨٩

مع مين نتسلى ونتعلم؟ أستاذنا أيمن
نورا ناجي- صحفية وروائية مصرية ..... ٩٣

"حمالة بنطلون" هدية للفائقين في اللغة العربية!
محمد توفيق – كاتب وصحفي مصري ..... ٩٧

«المفعوصة» والجدّ و«أم البيان البِكر»
مي هشام – كاتبة مصرية ..... ١٠١

كل الحكاية أبي
وئام يوسف – صحفية سورية ..... ١٠٥

عندما فضّلنا محبة اللغة العربية على «الفُل مارك»
فريد إدوارد – صحفي ومذيع مصري ..... ١٠٨

«تشرئب» له الأعناق
أمل أبو السعود – صحفية ..... ١١١

آخرة الشطارة!
مينا عدلي – صحفي مصري مقيم في كندا ..... ١١٣

من البيت بدأت
هاجر شعوط كاتبة جزائرية ..... ١١٥

هؤلاء صالحوني على العربية
يسرا سلامة – صحفية مصرية ..... ١١٧

طوبى للبنائين..
إيهاب الملاح – كاتب وصحفي مصري ..... ١١٩

أيقونية أبلة هناء
غادة عبد العال – كاتبة وسيناريست مصرية ..... ١٢٣

ميستر ثروت
حنان الجوهري – صحفية مصرية ..... ١٢٧

أستاذي الفلسطيني
د.ياسر ثابت – صحفي وكاتب مصري.....١٣١

اكتب ما يحلو لك
إيناس حليم – قاصة مصرية.....١٣٣

ماريان وخالد و"التشكيل"
ماريان سعيد - صحفية مصرية.....١٣٦

أكبر درس تعلّمته
ياسر عبد اللطيف – كاتب مصري.....١٣٩

"التذنيب" وأستاذ وهيب
غادة قدري – صحفية مصرية.....١٤٠

الأستاذ عبد الجبار.. ولكمة "الإعراب"
وجدي الكومي – روائي مصري.....١٤٣

كن حمارا ترَ الوجود جميلا!
جومانة حمدي.....١٤٦

سبحانك اللهم خير معلم
محمد قرنة – شاعر مصري.....١٤٩

حمدي قنديل و"الخواجاية"
نها فوزي.....١٥٢

اسمه "مستر خِضر".. صانع الشعراء
محمد حمدي – شاعر مصري.....١٥٩

أستاذ وليس مستر
عبد الفتاح خالد – صحفي مصري.....١٦٤

فنانة تشكيلية هائمة تكتب عن اللغة العربية
شيماء النجار – فنانة تشكيلية مصرية.....١٦٧

في يوم اللغة العربية «كل واحد يضرب اللي قدامه قفا»
حسام مصطفى إبراهيم - كاتب وصحفي مصري.......................................١٧٠

مدرّسة العربي التي صنعت "الشاعرة الصغيرة"
عبلة جابر - شاعرة وروائية فلسطينية.......................................................١٧٣

ملاحظات الأستاذ خالد
حسن الحلوجي - صحفي مصري..............................................................١٧٥

وصرخت ميس صافيناز بصوتها الجهوري: اكسح!
إيمان الوصيفي ..................................................................................١٧٧

في اليوم العالمي للغة العربية.. سلامًا على البلوفر الممزق
إنجي إبراهيم - صحفية مصرية ..............................................................١٧٩

الأستاذ هاني وردة.. سندوب الإعدادية بنين
محمود عبد الرازق - شاعر مصري .........................................................١٨٢

تشكيل للنشر والتوزيع